المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
من المسرح العالمي

# الظلام الحارق

تأليف: أنطونيو بويرو باييخو
ترجمة : أ. أحمد أصبان
المراجعة والمقدمة والدراسة:
أ.د. محمد برادة

العدد 401
يوليو 2019

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

# الظلام الحارق

تأليف: أنطونيو بويرو باييخو

ترجمة: أ. أحمد أصبان

المراجعة والمقدمة والدراسة: أ.د. محمد برادة

من

# المسرح العالمي


تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت



المشرف العام / الأمين العام

مستشار التحرير:
أ. د. حسين عبدالله المسلم

هيئة التحرير:
أ. د. عيسى الأنصاري
أ. د. زعابي حسين الزعابي
أ. عبدالعزيز سعود المرزوق
د. إلهام عبدالله الشلال
د. عادل سالم المالك
د. علي عبدالله حيدر
أ. منيرة سالمين
مدير التحرير: أ. بشرى فايز الحربي
سكرتير التحرير: أ. جمانة حسين محميد
التدقيق اللغوي: خالد جمال نصار



almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org



الظلام الحارق

رقم الإيداع: ISBN:978-99906-0-637-9

# الظلام الحارق

تأليف: أنطونيو بويرو باييخو

ترجمة: أ. أحمد أصبان

المراجعة والمقدمة والدراسة: أ.د. محمد برادة

# الفهرس


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ - | تقديم | ٧ |
| ٢ - | شخصيات المسرحية | ٢٣ |
| ٣ - | الفصل الأول | ٢٥ |
| ٤ - | الفصل الثاني | ٧١ |
| ٥ - | الفصل الثالث | ١١٣ |
| ٦ - | التحليل النقدي لرواية «الظلام الحارق» (أنطونيو بويرو باييخو) | ١٥٥ |

# تقديم

**بقلم: أ: محمد برادة**

لا أحد يشك في الإسهامات المهمة التي قدّمها المسرح الإسباني للعالم برمته، حيث كانت إسبانيا تعجّ بأسماء مسرحية لامعة تركت بصمة قوية في تاريخه، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الكاتب المسرحي البارز أنطونيو بويروباييخو (Antonio Buero Vallejo) الذي رحل من هذه الدنيا وترك وراءه باب المسرح الإسباني مغلقا في القرن العشرين. لايزال صدى مسرح بويرو يتردّد صاخبا على خشبات مسارح إسبانيا، إذ ظلّ يلهب المشهد الثقافي منذ منتصف القرن الماضي، برفقة أعمال رامون ديل باييإنكلان (Ramóndel Valle-Inclán) وغارسيا لوركا (García Lorca).

منذ العرض الأول لفيلم «قصة درج» (Historia de una escalera) في العام ١٩٤٩م، فتح بويروباييخو الطريق أمام الصيغة الدرامية الأكثر تمثيلا خلال سنوات الخمسينيات: أو ما يسمى بالمسرح الواقعي الذي تميز بالالتزام السياسي والإدانة الاجتماعية، حيث بقي هذا النوع من المسرح شبه غائب فوق الخشبة بسبب مشكلة الرقابة.

اشتغل بويرو في مسرحياته على الشكلانية وبناء العمل، صانعا منه سمة ميّزت أعماله وأثّرت آنذاك في تكوين نصوصه المسرحية، حيث استعمل المكان بوظيفته ومغزاه، وكان يركّز على استغراق المتفرّج في الحدث من وجهة نظر الشخصيات، ثم يستخدم تأثير ذلك في استكمال

تعميق المشهد وتقويته، جاعلا الجمهور يلتمس عن قربٍ التناقضات والعذابات التي تُبرِّح ضمير الشخصيات.

كما اشتغل بويرو على تحليل سلوك الإنسان وتفكيره، متحدّثا إليه وجها لوجه، مستنطقا مشاكله وأوجاعه التي يقاسيها بوصفه إنسانا أولا، ثم فردا يحيا في المجتمع ثانيا، مضفيا باعتنائه هذا بعدا أصيلا على أعماله، حيث كان طوال الوقت يحافظ على التوازن بين الفعل الدرامي باعتباره نسقا مستقلّا وبين العمق الموضوعاتي بمنحيَيه السيكولوجي من جهة والاجتماعي والسياسي من جهة ثانية.

إن العودة إلى التاريخ عند بويرو ليست سوى استقراء للحاضر، ووسيلة لابتكار المستقبل. عودة يجب أن يكون عليها كل عمل مسرحي معاصرا، قبل أيّ شيء آخر، حتى وإن كان تاريخيا، لأن المسرح التاريخي ثمين ما دام يضيء الحاضر.

صحيح أن بويرو لم يُخفِ رغبته الصارخة في تعرية حقيقة الحياة في بلده بعد الحرب الأهلية التي زرعت بذور الخوف والمراقبة في كلّ زاوية، لكنه لم يتردّد في اللجوء إلى مواضيع كانت مطروقة حتى في المسرح الشعبيّ، حيث استبدل بالفكاهة المأساة الحقيقية لمصائر شعب شجاع يكافح ليقهر الخوف والفقر والركود؛ وكان يعتبر أن هذه الأداة لا تُفضي إلى فقدان الأمل مثلما تفعل الفكاهة وحدها بالضرورة. وبهذا كان بويرو ينطق بالكلام، لكن عند خروجه يحرق ألسنة وشفاه، بل ويوجع قلوبا هددت عالمه بالزوال، حتى إنه كان يترجم حسرة الأطفال ونظرات الكهول

وقلق الأمهات وأرقهن، ولكنه مع ذلك كان يزيل الغيمات ويرفعها، ويبني أدراج الأمل ليصعد منها كل تواق للحياة.

وهكذا تميزت أعمال بويرو بقدر من الرصانة وبإيقاعها الرتيب بعض الشيء، على الرغم من شخصيته المتّسمة بروح الدعابة. فقد كان الكثيرون يتطلعون إلى تجاوز المأساة، خاصّة بعد مضيّ عقد على الصدامات الدموية والتمزّق الثقافي الذي عاناه البلد إثر تشتّت معظم مثقّفيه في المنفى، لتأتي مسرحيات بويرو لتدفع إلى التأمّل وإعادة التفكّر في كثير من الأشياء والقضايا.

حين قرر باييخو الاتجاه إلى الكتابة المسرحية، فهو في الحقيقة اختار أن يكون مسرحه مختلفا عن السائد في ذلك الوقت، سواء من ناحية الشكل أو المضمون، إلا أنه كان مشغولا بفكرة أساسية تتمثل في «العمى» أو «فقد البصر»، ليس على المستوى الفيزيقي فقط، بل حتى على المستوى المعنوي أيضا، فكتب مسرحيته الأولى في العام ١٩٤٦ التي كان عنوانها «الظلام الحارق».

هذا وبسبب تركيز بويرو باييخو الدائم على قضايا الإنسان لاسيما الإنسان الإسباني المعاصر، ونقل مشاكله إلى خشبة المسرح، بشكل أمين عبر الدراما المأساوية، غدا أنطونيو كاتبا مسرحيا متميزا عن غيره من المسرحيين الإسبان في عصره. فعلى مدى ٥٣ عاما، استطاع أن يكتب ٢٩ عملا مسرحيا، لا يوجد من بينها عمل لم يكن فيه انحياز صارخ للإنسان. إنه كاتب المواقف، والمدافع عن الإنسان أينما كان.

يتناول مسرح بويرو باييخو مختلف الظروف والبيئات؛ فأعماله في معظمها تدور في فلك الدراما الاجتماعية التي تنتقد النظام الطبقي الظالم، وتسخط بشدة على أولئك الذين يستغلون نفوذهم وسلطتهم للوصول إلى ما يريدون.

هكذا تعود بنا مسرحيات باييخو إلى السياق التاريخي لتجعل منه مدخلا نحو السياق الثقافي بركائزه الثابتة ومتغيراته الطارئة، والذي عاشه باييخو مؤثرا ومتأثرا. حيث طبع هذا السياق أعماله المسرحية فكريا، ووسمته بيئته الاجتماعية والسياسية التي حكمت المجتمع الإسباني خلال الفترة الممتدة ما بين أربعينيات وسبعينيات القرن الماضي، ثم ما بعدها عقب موت الجنرال فرانكو في العام ١٩٧٥ وعودة الملكية للبلاد ودخولها في مرحلة تحول نحو الديموقراطية، حتى استقرت مع العام ١٩٨٢ بوصول الحزب الاشتراكي الإسباني إلى الحكم.

الجميل في أعمال باييخو أنها كانت تحمل دوما رسالة تفاؤل لمتلقيها، تصاحبها في الوقت نفسه رسالة تحذير من مغبة السير في ذات الطريق المهلكة التي تسلكها الشخصية الدرامية ومن ثم تحفيزهم للبحث عن طرق أفضل لا تؤدي إلى الموت. إن إبداع بويرو، سواء بالرسم أو بالكتابة، كان دائما عبارة عن تصوير لحالة ما، غالبا ما تكون عبارة عن أزمة، يعرضها على المتلقي ليحثّه على البحث عن حلٍّ لها. وتمثل هذه إحدى القيم الكبرى لمسرح بويرو باييخو.

تلك هي الروح التي لم يتخلّ عنها بويرو، حين جعل القارئ شريكا فعليا

في ما يعرضه من قضايا وأزمات في أعماله المسرحية، إذ لم يكن يريد قارئا أو مُشاهِدا اتكاليا يتابع الأعمال بحثا عن حلول لمشاكله وأزماته، بل كان يرى مهمته كمسرحي هي توصيف الواقع، وإرسال رسائل واضحة للمشاهد الذكي، فالإشارة إلى مكمن الداء دليل على نجاح التشخيص...

لقد ظل الإنسان حاضرا في صميم ما يكتبه بويرو، لإيمانه بأنه المركز في هذا العالم. وتتجلّى تلك التوجهات في المسرح بخاصة؛ إذ تناول مسرحه هموم الإنسان المعاصر عموما؛ فكتب عن الظلم الاجتماعي والفقر والجهل وتدنّي الأخلاق، مثلما كتب عن أدقِّ تفاصيل النفس البشرية بهدف إبراز مدى عمق وتعقيد مشاعر الإنسان؛ فكتب عن الشعور بالوحدة والوحشة والاحتياج والغيرة... إلخ.

إن الذي ميز عددا من أعمال باييخو عن غيرها، هو اشتغاله بموضوع العمى، على الرغم من أنه لم يكن يوما كفيفا، وظل يوظفه تعبيرا عن أزمات الإنسان المعاصر؛ فبعض الأزمات التي لا تجد لها أفقا للحل هي ضرب من ضروب العمى بامتياز، وتخبُّط الإنسان، واستجلابه للأزمات أحيانا – بوعي أو من دون وعي – هو شكل من أشكال العمى.

صحيح أن بويرو تناول في العديد من أعماله شخصية الكفيف، وتعرّض من خلال استعراضه لهذه الشخصية، بغاية بسط مفاهيم فلسفية عميقة تُعنى برؤية الإنسان للعالم وهموم البشر عموما، لكن استخدامه لمفهوم فقْد البصر بشكل رمزي في أعماله، ليس بالضرورة توظيف لتصوير إنسان هذه الفترة بشكل مطلق، لأن مأساة الفرد هي الموضوع

المطلوب والمشترك الذي يربط بين كل إنتاجاته، وذلك بتحليلها من الوجهة الاجتماعية والأخلاقية، منذ أول عمل له «الظلام الحارق»، الذي عرض فيه المشكلات الأساس التي تعوق الإنسان.

**مميزات العمل المسرحي عند بويرو**

وبشكل عام، لا يمكننا الحديث عن مسرح بابييخو من دون التطرق إلى أربع مميزات مهمة:

أولا، المسرح ذو الدلالات الرمزية: تمثل مسرحية «الظلام الحارق» مواجهة عنيفة مع واقع لا يمكن تجنبه ولا نكرانه، حيث يستخدم بويرو فقدان البصر لكي يرمز للحدود البشرية، وبذلك فهو رمز للنقص وغياب الحرية من أجل فهم غموض ذاتنا وإدراك سر قدرنا في الكون، فالإنسان ليس حرا؛ لأنه لا يستطيع معرفة واكتشاف سر ما يحيط به. لكن مقابل ذلك يسود بعض الغموض في أعمال أخرى، مثل: «خياطة الأحلام» (La tejadora de sueños)، والتي تعد إعادة عرض لأسطورة «أوليسيس وبينيلوبي» (Ulises y Penélope)، وأيضا «إيريني أو الكنز» (Irene o el tesoro)، وتعتبر تحليلا لانقسام المجتمع.

ثانيا، النقد الاجتماعي: لقد استطاعت هذه الأعمال أن تحلل المجتمع الإسباني بما فيه من ظلم وكذب وعنف، مثل «حكاية سلم « (Historia de una escalera)، «رسائل موجهة للأسفل» (Las cartas bocaabajo)، «المنور» (El tragaluz). حتى إن «حكاية سلم «استطاعت في العام ١٩٤٩ أن تحصل على جائزة لوبي دي بيجا، لأنها مثلت أحد الأعمال الأكثر

أهمية في المسرح في تلك الفترة بسبب طابعها الحزين، كما أنها نددت بالأحوال الاجتماعية في الواقع المعيشي. حتى إنها أثارت جدالا كبيرا بسبب واقعيتها ومضمونها الاجتماعي، فقد عرض فيها بابيخو عجز بعض الأفراد عن تحسين أحوالهم المادية بسبب الحالة الاجتماعية وانعدام الإرادة.

ثالثا، الدراما التاريخية: تعد أهم المميزات الأساسية للدراما المستوحاة من التاريخ، ولها القدرة على الربط بين الماضي والحاضر، وهنا تكمن مقدرة بابيخو في الوساطة التراجيدية بين الزمنين. فمسرحيتاه «حكاية سلم» و«الظلام الحارق» تعتبران تقصيا مهووسا للظرف التراجيدي للإنسان كعنصر بارز من عناصر التاريخ، بل إننا نجد هذا الهاجس في تقصي عامل الزمن في مسرحيتين أخريين شهيرتين للكاتب وهما: «الحاكم للشعب» و«الانفجار»، على أن الفرق بين «الضمير المعتقدي» و«الضمير التراجيدي» لا ينحصر في تقبل الحقيقة أو تغييرها، بل على العكس من ذلك يكمن في عدم قبول انشراح المتفرج بإجابة أو بتفسير يؤديان إلى تلاشي الصراع القائم، حيث يحول الضمير التراجيدي السؤال أو عملية التساؤل والاستفسار إلى تناوش تراجيدي متداخل، يقوم بتفجير السؤال نفسه على خشبة المسرح، وبالتالي يجعل المتفرج مشاركا بالضرورة في البحث عن الإجابة، ليس على خشبة المسرح وحسب، بل في الحيز التاريخي والزمني كذلك، على أن الإجابة هنا رهينة بمقدرة وكيفية تلقي المتفرج للسؤال وفهمه واستيعابه.

وإذا تأملنا مسرحيات باييخو فسوف نجدها حافلة بهذا التساؤل التاريخي، حيث تغدو التراجيديا وسيلة مفتوحة لا مغلقة، قادرة على استبدال مفهوم القدَرية بالحرية، مُحولةً إياها إلى المِحور المُحرك لنظرة باييخو التراجيدية للتاريخ، وبذلك تغدو المسافة الممتدة بين الكاتب والمتلقي للنص هي المسافة القائمة بين "الضمير التراجيدي" وتساؤله، و"الضمير" وجوابه، حيث تتحول الدراما إلى حقيقة تاريخية، يظل المتفرج فيها وحده القادر على تخطي الحواجز وتجاوزها وإيجاد الحلول المناسبة للصراعات المحتدمة في سياق التاريخ.

رابعا، الشخصيات الدرامية: من الممكن القول بأن شخصيات بويرو باييخو اعتادت على أن تتماشى مع خصائص المسرح عنده، وذلك بأن تمثل عاهة جسدية أو مرضا نفسيا...، وهي بذلك لا تقتصر على معالجة المشكلات البسيطة، كما لا تنحصر في رموز محددة، ولكن تذهب إلى ما هو أبعد، إنها شخصيات معقدة تخضع لعملية تحول على مدار العمل.

يميز النقد من بين هذه الشخصيات شخصيات فعالة وشخصيات متأملة، غير فعالة، يخلو النوع الأول من الشكوك ويصدر سلوكها بدافع الغرور أو بسبب غرائزها الدنيئة لدرجة أنها تشك في كونها قاسية وتتميز بالعنف لأنها به تحقق أهدافها. هذه الشخصيات ليست سيئة فالفروق الموجودة بين الأخيار والأشرار لا تظهر في مسرح بويرو. أما بالنسبة إلى الشخصيات المتأملة غير الفعالة فهي تشعر بالذعر؛ فالعالم الذي تعيش

فيه ضئيل للغاية، وهي أيضا تتحرك في فضاء مغلق عن الأمل، وعلى الرغم من وعيها بحدودها، تتطلع لما هو محال وهي من دون شك تتعرض للفشل، كما أنها لا تحقق أحلامها.

صاغ الكاتب مسرحا جدليا، ذا بناء تراجيدي وأسلوب واقعي، يتخذ فيه موقفا واضحا تجاه حرية الإنسان مهما كان عرقه أو عقيدته، ويمجد فيه بطولة الإنسان وسط كل المعوقات الاجتماعية التي تجبره على السير في غير الطريق القويم، وإن جاء دفاعه طوال الوقت عن هذا الإنسان الفرد من منظور سوسيولوجي وأخلاقي، واضعًا إياه دوما في سياقه الاجتماعي والثقافي، وصائغا رؤيته داخل مسرح واقعي متعدد الأوجه، أصر هو أن يمنحه سمة الرمزية.

خلال الحرب الأهلية الإسبانية التي اندلعت في العام ١٩٣٦ وحطت أوزارها في العام ١٩٣٩، ونظرا إلى معارضة بويرو باييخو الصارمة لنظام الجنرال فرانسيسكو فرانكو العسكري والديكتاتوري، وتأييده العلني للجمهوريين زُج به في غياهب السجون لمدة سبع سنوات، فكان لتجربة الحرب الأهلية الإسبانية الضروس هذه التي عاشها، وتجربة السجن المريرة التي عاناها وأمضاها على مَضض، وعانى منها الكثير من نظرائه المثقفين والشعراء والكتاب الإسبان، تأثير بليغ على نفسه، وعلى أعماله التراجيدية، وإبداعاته المسرحية، ومن ثم جاءت مناهضته الشديدة للرقابة في مجالات الفكر، والكتابة والتأليف، ودفاعه المستميت عن الحرية والانعتاق، وإحساسه العارم بمأساة الكائن البشري، حيث انعكست

كل تلك المشاعر، وتفجرت هذه المعاناة والإخفاقات في مختلف أعماله الإبداعية، المسرحية منها على وجه الخصوص.

كان الكاتب أنطونيو بويرو باييخو شاهدَ عيانٍ على مختلف الأحداث، والمآسي الدموية الأليمة، والوقائع المأساوية التي طبعت عصرَه الكئيب، وزمنه الشاحب الذي عاشته بلاده إبان الحرب الأهلية الإسبانية، والتي تركت آثارا بليغة في مختلف أعمال وإبداعات الكتّاب، والشعراء، والمبدعين الإسبان الذين عايشوا هذه الفترة العصيبة من تاريخ إسبانيا المعاصر، من أمثال فيديريكو غارسيا لوركا (Federico García Lorca)، ورفائيل ألبرتي (Rafael Alberti) ، والرسام بابلو بيكاسو (Pablo Picasso) ،

كان بويرو باييخو كاتبا ملتزما في مسرحه، وفي مختلف كتاباته وحياته نحو قضايا الإنسان ومعاناته، وقد أصبح بذلك من أشهر الكتّاب المسرحيين في إسبانيا، ومن ثم تتفجر في أعماله المسرحية معاني الاحتجاج، والإدانة والانتقاد، والسخط والتمرد والثورة والتطلع نحو السلم والتحرر والانعتاق. وبقدر ما كان باييخو حريصا على رواية الأحداث التاريخية خلال هذه الحرب الممقوتة برمزية عميقة، كان حريصا على انتقاء أسلوب أنيق ومبسط يتوافق مع استعمال الرموز والإيحاءات، فرارا وتنصلا من الرقابة الفاشستية في عصره. لقد لجأ إلى استعمال التعابير العامية الموحية المستوحاة من لغة الشارع اليومية، في أسلوب يعتمد على التركيب اللغوي المزجي البسيط، وقد أدرك بهذه الخاصية المتفردة مراتبَ عليا من الجمالية اللغوية في سلاسة تعبيرية، وطلاقة

وتلقائية وعفوية، ذلك في زمن اتسم بالألم، والحزن، والبؤس، والشقاء، والفقدان إبان الحرب الأهلية الإسبانية من جهة والحرب العالمية الثانية من جهة أخرى، التي جعلت شعبا واحدا يدخل في عراكٍ دام، ومواجهة عاتية، وفي عداء سافر بينه وبين مختلف فئاته، وطبقاته، وأطيافه، بسبب أيديولوجيات سياسية مستوردة ودخيلة.

لقد صور لنا بويرو باييخو في أعماله المسرحية مواقفَ درامية ومأساوية مؤلمة لهذه المواجهات وهذا التطاحن، كما سلط الأضواء على العديد من التناقضات التي كانت تعيشها إسبانيا في ذلك الحين، وأن الصراع ليس بين ما هو وافد أو وارد، أو أصيل، بل كذلك بين التقاليد والعادات المتوارثة، والتطلع نحو الانفتاح، والمعاصرة والحداثة في مختلف مناحي الحياة.

وفي النهاية يبقى مؤلّف "الظلام الحارق" مسرحيا كلاسيكيا، ليس لديه قطيعة جذرية مع الشكل، لكن ثمّ في نصّه دفقة غنيّة من الموضوعات الحداثية المعقّدة، والتراجيديّةُ الجديدة التي افتتحها في المسرح الإسباني تعتمد البناءَ المفتوح، كما في بعض التراجيديات الإغريقية، فتترك للمتلقّي حسب وعيه وضميره حرية تعديل المصائر في النهايات حيث تصمت الشخصيات أو تقضي مهزومة أو تنهار.

**«الظلام الحارق»**

تتكون هذه المسرحية من ثلاثة فصول، وتروي لنا الأحداث التي وقعت لمجموعة من الطلاب المكفوفين داخل مؤسسة خاصة، والتي تحولت إلى

مكان معزول حيث يعيشون في انفصال تام عن عالم المبصرين.

في الفصل الأول من هذه الرواية المسرحية يتم الحديث عن لحظة ولوج أحد الطلبة إلى مركز العميان. هذا الوافد الجديد اسمه إغناسيو، والذي لا يتصرف مثل باقي "العميان" الموجودين في المركز والذين لديهم "معنويات فولاذية" علّمهم إياها مدير المركز، السيد بابلو، أعمى أيضا. إن حاجة الفتى إلى الاندماج تعتبر مسؤولية من قبل قائد المجموعة، كارلوس.

في الفصل الثاني، نقرأ عدم تحقق إغناسيومن الاندماج السريع داخل المركز. ومواجهته لكارلوس. يتبنى إغناسيو موقفا سلبيا حيث أصبح لديه أتباع مثل خوانا، صديقة كارلوس. بدأ هذا الأخير يأخذ المبادرة ويعمل جاهدا لإقناع الآخرين من عدم اتباع خطوات إغناسيو ومحاولة التخلص منه.

في الفصل الثالث، أصبحت هذه المواجهة لا تطاق بالنسبة إلى كارلوس حيث يقوم باغتيال إغناسيو وسط ساحة الألعاب الرياضية، في ليلة بعد مواجهتهما الأخيرة. ترى السيدة بيبيتا، زوجة السيد بابلو، كل شيء من النافذة الزجاجية لغرفتها حيث كان الثلاثة هناك قبل دقائق. لا تقول السيدة بيبيتا أي شيء حتى لا تتحطم سمعة المركز. يعتقد أن إغناسيو سقط من المزحلقة التي توجد في الساحة وقضى نحبه. بعدما أصبح إغناسيو جثة هامدة أمام الجميع لم يلق أي دعم أو ترحم وقالوا بأنه لم يستحق الحياة. بعد هذا المد والجزر يذهب الجميع إلى حالهم

وتبدأ السيدة بيبيتا بتوبيخ كارلوس على فعلته (قتل إغناسيو) ولا يتوقف هذا الأخير عن إنكار ذلك مع العلم أن بيبيتا قد شاهدت كل شيء من النافذة.

يخترق إغناسيو -البطل المأساوي لهذه الدراما- بقوة ساحقة عقل كل شخص يدرك الواقع ويزعزع شيئًا فشيئًا ضمائر زملائه -وخاصة كارلوس، الخصم والطالب النموذجي في المركز الذي يسيره السيد بابلو (don Pablo) - أعمى مثلهم - والذي يمثل دور ذلك الإنسان السلطوي والمستبد وسط المؤسسة، والذي يقنعه بالمجازفة التي يفترضها إغناسيو من أجل التعايش السعيد بين الطلاب.

في هذا العمل، لا يعرض بويرو أي أيديولوجية معينة، ولا علاقة له بالدعاية السياسية، ولا يقدم لنا مسرحا للتحريض الاجتماعي أو الثوري بالمعنى الحرفي للكلمة. هذا العمل هو مأساة من الواقعية الرمزية. لا يكتب بويرو ضد شيء ما، وإنما يكتب لأجل شيء ما؛ لا يتعلق الأمر بمسرح الإدانة، بل بمسرح الخلاص والإنقاذ. ومن ثم، فإن المأساة تأخذ هنا طابع التفاؤل والأمل، أي أن هذين الآخرين هما مفهومان مترادفان ومتلازمان.

المفهوم الذي يريد بويرو نقله إلينا من خلال روايته المسرحية "الظلام الحارق"، هو أننا جميعًا عميان ونفتقر إلى الحرية الكافية لفهم لغز وجودنا ووجود العالم. ما نستنتجه من هذه المسرحية هو أننا لسنا أحرارا ولا نستطيع أن نعرف تلك الألغاز لأننا نعيش في مجتمع قائم على الأكاذيب.

بالطريقة نفسها التي حاول إغناسيو أن يظهر للجميع أنهم يعيشون في كذبة، حاول المؤلف أيضا، بين السطور، أن يقول نفس الشيء لجمهوره، ونحن، بدورنا، نريد الآن أن نعلنه للمشاهدين. إنه ليس شيئًا من الماضي، فنحن مازلنا ننظر إلى الاتجاه الآخر، ونؤمن بما نريد أن نؤمن به من دون مواجهة ألم الواقع. إن هذه المسرحية ستجعلك تفكر، إذا كنت فعلا تريد أن ترى...

# الظلام الحارق

تأليف: أنطونيو بويرو باييخو

ترجمة: أ. أحمد أصبان

المراجعة والمقدمة والدراسة: أ.د. محمد برادة

# الشخصيات

(حسب تسلسل ظهورها على الخشبة)

- إليسا
- أندريس
- بيدرو
- ألبيرتو
- كارلوس
- خوانا
- ميغيلين
- إسبرانسا
- إغناسيو
- دون بابلو
- الأب
- دونيا ببيتا

يشير اليسار واليمين عند وصف الفضاءات إلى يسار ويمين المتفرج.

# الفصل الأول

قاعة التدخين في مركز تربوي عصري: مكان شبه مغلق تحلو فيه المسامرة من أجل قضاء أوقات رائعة. في الخلف يسارا يوجد باب قصير يؤدي إلى الشرفة. وفي خلفية الخشبة يُلمح دربز الشرفة المطل على ساحة لممارسة الرياضة. خلف الدربز تنبسط أغصان أشجار وارفة وملتفة الأوراق تصبغ الجو بنور أعماق البحار البهيج. حائط قصير من إسمنت عليه إطار زجاجي كبير يرتفع إلى السقف، يسمح برؤية الشرفة ويفصل بينها والخشبة. يشغل الزجاج كل الجدار حتى الباب القصير، ويلتف ليشغل نصف الجدار الأيسر مشكلا معه في الوسط مدخلا لرواق، ثم يمتد الزجاج إلى الجدار الأيمن كله إلى الباب. في الجانب الأيسر أماما توجد مائدة مستديرة صغيرة ذات قائمة واحدة تحيط بها عدة كراسي مريحة. وفي الوسط إلى الخلف توجد أريكة ومائدة كالأولى يحيط بها كرسيان. بمحاذاة الجانب الأيمن مائدة أخرى معزولة وكرسي. وهناك منفضات سجائر فوق ثلاث موائد. الزجاج يلتوي ويستمر خارج الخشبة، وسط الجانب الأيسر، مشكلا بذلك مدخلا للمكان العلوي للمسرح. وفي الجانب الأيمن يوجد باب.

(يجلس في القاعة ثمانية طلبة شباب تبدو عليهم آثار الراحة والسكينة، يرتدون ملابس أنيقة جدا. بعضهم يدخن، ورغم البشاشة واللطف البادیین

عليهم إلا أنه يوجد شـــيء في مظهرهم يثير استغرابنا، وبعد إمعان النظر يتبين لنا أنهـــم كلهم عميان. يلبس بعضهم نظارات ســـوداء، ربما لحجب منظـــر ما قد لا يريـــح الناظر إليهم، أو لغرض الزينـــة فقط. إنهم في ما يبدو عميان شباب ســـعداء، واثقون من أنفسهم، فعندما ينهضون يمشون بســـهولة ويأخذون أماكنهم بيســـر دونما تردد أو تحسس، فيترسخ بذلك لدى المتفرج الانطباع بأنهم أناس لم يمنعهم بؤس الإعاقة الجســـدية من عيـــش حياة عاديـــة، ولا يُذكِره بذلك إلا صفة ملازمـــة للعميان: إنهم لا يتواجهون مع مخاطبهم.

يجلس كارلوس وخوانا على كرســـيين يســـارا. كارلوس شـــاب قوي وجهه مشـــرب بحمرة، يتحدث بنشـــاط وحيوية لذيذين، يرتـــدي ملابس أنيقة بألوان ناصعة وياقة مرتفعة. بينما خوانا شابة جميلة وحلوة. تجلس إليسا في الكرســـي يمينا، إنها ذات هيأة عادية وروح منفتحة و شفافة وصافية، يجلـــس على الأريكة كل من الطلبة أندريس وبيـــدرو وألبيرتو، والطالبتان لوليتا و إسبرانسا تجلسان على الكرسيين المتجاورين).

**إليسا** : (وقـــد نفـــد صبرها). كم الســـاعة يا شـــباب؟ (يضحك الفتيان تقريبا كلهم بانشراح وكأنهم كانوا ينتظرون الســـؤال). لا أدري لم تضحكون. هل من المضحك الســـؤال عن الساعة؟ (يزداد الضحك). حسنا، سأصمت.

**أندريس** : كانت الساعة قبل قليل تشير إلى العاشرة والنصف.

**بيدرو** : وحفل افتتاح السنة الدراسية سيبدأ في الحادية عشرة.

**إليسا** : سألتُ إن كانت ثلاثة أرباع الساعة قد مرت.

**لوليتا** : سألتنا قبل قليل للمرة الثالثة السؤال نفسه.

**إليسا** : (حنقة). هل مرت أم لا؟

**ألبيرتو** : (مداعبا). آه ! لا نعلم...

**إليسا** : إنكم بغيضون!

**كارلوس** : (ساخرا). هذا يكفي، اتركوا المسكينة بسلام.

**إليسا** : أنا لستُ مسكينة!

**خوان** : (بلطف). لم تمر بعد الثلاثة أرباع الساعة يا إليسا. (يظهر ميغيلين[1] من الباب القصير، إنه طالب فتي وحيوي، يرتدي نظارات سوداء، لأن التجربة علمته أن حيويته تصبح صعبة عندما يلاحظها الناس المبصرون بنظراتهم الميتة).

(١) مغيلين هي صيغة التحبيب والدلع لاسم ميغيل.

**أندريس** : اهدأي، إنك تعرفين جيدا أن ميغيلين يصل دائما دون تأخر.

**إليسا** : ومن سألك عن ميغيلين؟

**ميغيل** : (يتصنع الحزن مازحا). إن لم يسأل أحد عن ميغيلين فسأبكي.

**إليسا** : (تقفز بسرعة) ميغيلين! (تجري نحوه بسعادة، بينما يرحب به الآخرون بتحايا حارة. ما عدا كارلوس وخوانا، ينهضان ويقتربان منه لمصافحته).

**أندريس** : رائع ميغيلين!

**بيدرو** : جئت في الوقت المحدد!

**لوليتا** : إنك تضبط الوقت جيدا!

**إسبرانسا** : كيف أمضيت وقتك؟

**ألبيرتو** : كيف حالك؟ (يتوجه ميغيل صوب الأريكة من دون أن يترك إليسا).

**كارلوس** : هل نسيت أصدقاءك؟

**ميغيل** : كارلـــوس! (يقترب ليصافحه). متأكد أن بجانبك خوانا.

**خوانا** : أصبت. (تمد يدها لمصافحته).

**ميغيل** : أف! ظننـــت أن بدايـــة الحفـــل ســـتفوتني. لقد أمضيـــت أوقاتا رائعـــة يا شـــباب، رائعة. (يجلس علـــى الأريكـــة وإليســـا بجانبه. يجلـــس أندريس بجانبهمـــا، ويجلس الآخرون بدورهم). لكنني كنت أتـــوق لأن أكون بينكم! إن الخارج كتوم يا أصدقاء. هنا يمكنك أن تأخذ أنفاســـك. ما إن وصلت حتى رميت العصا للبواب (يحاكي ذلك بحركة من يده). «هل تأخرتُ؟» «جئتَ قبل الوقت بعشـــرين دقيقة. «حســـن» تحية هنا ومصافحة هناك... «ميغيلين!» «لقـــد جاء ميغيلين»، يبدو أنني مهم جدا، لا شـــك في ذلك. (يضحك الجميع).

**إليسا** : (مقتنعة بذلك). أيها المغرور!

**ميغيل** : اصمتـــي، يمنـــع مقاطعـــة الـــكلام. ســـأواصل. «ميغيلين، إلـــى أين تذهب؟» «ميغيلين، إن إليســـا توجد في الشرفة...».

**إليسا** : (تقرصه خجلة). غبي!

**ميغيل** : (يصرخ). آي !... (يعم الضحك). «إلى أين أذهب؟ أذهب إلى النادي حيث يوجد زملائي». وها أنا ذا بينكم (يأخذ نفسا). حسنا، ماذا ننتظر؟ لنذهب إلى المدرج. (يهم بالنهوض).

**لوليتا** : لا تزعجنا أنت أيضا. فالوقت لم يحن بعد.

**أندريس** : (ممسكا به). احك، احك لنا كيف أمضيت عطلتك.

**إسبرانسا** : (تصفق تصفيقة). نعم، نعم احك لنا يا ميغيلين.

**إليسا** : (تصفق هي الأخرى بغضب). نعم، نعم احك للطفلة عن عطلتك يا ميغيلين.

**إسبرانسا** : (محتارة). ماذا تقصدين بذلك؟

**إليسا** : (فجة). لا شيء. أنا أيضا أجيد تلك التصفيقة. (يضحك الآخرون).

**إسبرانسا** : (متضايقة). أف!

**ميغيل** : تلطفي يا إليسا. الأصدقاء يريدون أن أحكي لهم

كيف قضيت عطلتي. انتبهوا إليّ إذن. (يسترخي الطلبة مسرورين استعدادا لسماع ما قد يمتعهم. يستبد الضحك بميغيلين).

**بيدرو** : هيا ابدأ الآن!

**ميغيل** : اصغوا إليّ. (يضحك). أخذت يوما عصاي لأخرج إلى الشارع، و... (يصمت فجأة ويقول بشيء من الدهشة). ألا تسمعون شيئا؟

**أندريس** : احك وكفاك مزاحا!

**ميغيل** : لست أمزح! أسمع صوتا غريبا، صوت دقات عصا...

**لوليتا** : (تضحك). إنها دقات عصاك، ما زالت عالقة بمسامعك.

**إليسا** : استمر في الحكي، أيها الأبلة...

**ألبيرتو** : إنه لا يمزح. هناك صوت عصا قادم...

**خوانا** : أنا أيضا أسمع ذلك. (ينتبهون إلى الجهة حيث يأتي الصوت. لحظة صمت. يظهر من اليمين إغناسيو وهو يتحسس بعصاه مواطئ قدميه وما

يشـــبه الخوف بادٍ على قسمات وجهه وحركاته. إنه فتى نحيـــف، جدي وكثيـــر التفكير، مظهره يجمـــع بين الـــذوق واللامبـــالاة، قميصه مفتوح الأزرار عنـــد العنق، وربطة العنق مائلة، شـــعره غير مصفف بعناية. يرتدي دائما ملابس سوداء دونما مناسبة. يتقدم بخطوات إلى الأمام مرتبكا ثم يتوقف).

**لوليتا** : هذا شـــيء غريب! (يفزع إغناســـيو ويتراجع إلى الخلف خطوة).

**ميغيل** : من أنت؟ (يصاب إغناسيو بالخوف ويهم بالخروج مـــن حيث دخل. فجـــأة يتراجع عـــن ذلك ويخطو خطوات سريعة نحو اليسار).

**أندريس** : ألن تجيب؟ (يتعثر إغناســـيو بكرسي خوانا، يمد يده فتلتقطها خوانا).

**ميغيل** : (ينهض) انتظر يا رجـــل! لا تذهب. (يقترب منه ليتحسسه في حين تقول خوانا قلقة).

**خوانا** : لقد أمســـك بيـــدي... لم أتعرف عليـــه. (يترك إغناسيو يدها، ويشده ميغيلين عند الذراع).

**ميغيل** : ولا أنـــا. (ينهض أندريـــس ليقترب منه هو أيضا ويمسكه من ذراعه الأخرى).

**إغناسيو** : (خائفا). اتركاني.

**أندريس** : ما الذي جاء بك إلى هنا؟

**إغناسيو** : لا شيء، اتركاني. لست... إلا أعمى مسكين.

**لوليتا** : (تضحـــك). لقد جـــاءك منافس فـــي «التنكيت» ميغيلين.

**إسبرانسا** : منافس؟ بل قولي أستاذ!

**ألبيرتو** : لعله واحد من مهرجي المستوى الأول.

**ميغيل** : اتركوه لي. ماذا قلت؟

**إغناسيو** : (هلعا). أعمى.

**ميغيل** : أه، مســـكين، يا لك من مســـكين ! هـــل تريد أن أقـــودك إلى الطـــرف الآخـــر؟ (يضحـــك البقية بصخب). أغرب عنا أيها المعتوه! اذهب واســـخر من زملاء فصلك.

**أندريس** : إنهـــا فعلا مزحة ثقيلة. تحـــرك، اذهب من هنا. (يدفعانه. يتراجع إغناسيو عند الزجاج).

**إغناسيو** : (يصرخ وهو على وشك البكاء). لقد قلت لكم إني أعمى!

**ميغيل** : لكم تحسن ترديدها! انصرف، هيا! (يتوجهان نحوه مهددين. ينهض ألبيرتو بدوره).

**كارلوس** : لحظة، لكنكما لا تريانه؟

**ميغيل** : كيف ذلك؟

**كارلوس** : أظن أننا نرتكب خطأ كبيرا يا أصدقاء. إنه يقول الحقيقة. عودا للجلوس.

**ميغيل** : يا للعجب!

**كارلوس** : (يقترب هو وخوانا من إغناسيو). إننا نحن أيضا... عميان، كما تقول.

**إغناسيو** : أنتم أيضا؟

**خوانا** : كلنا عميان. الحاصل أنك لا تدري أين أنت؟ (تمسك إليسا بذراع ميغيلين الذي احتار. يتهامس الطلبة في ما بينهم. يعود أندريس وبيدرو للجلوس. الكل ينتبه).

**إغناسيو** : بــل أدري. لكنني لا أســتطيع تصديــق أنكم... مثلي.

**كارلوس** : (مبتسما). ولماذا؟

**إغناسيو** : تمشون بثقة. وتتحدثون معي.. وكأنكم.. تنظرون إليّ.

**كارلوس** : لــن تحتاج وقتا طويلا لتتمكن أنت أيضا من فعل ذلك. جئتَ من فورك، أليس كذلك؟

**إغناسيو** : أجل.

**كارلوس** : لوحدك؟

**إغناسيو** : لا. أبي يوجد بالمكتب عند المدير.

**خوانا** : وتركوك خارجا؟

**إغناسيو** : قــال المديــر إنه بإمكاني الخــروج دون تخوف. أبــي لم يرد ذلك، لكن الســيد بابلو قال بأن أخرج وأمشي في المبنى. قال إن ذلك أحسن.

**كارلوس** : (مؤكدا). إنه أفضل. لا تخف.

**إغناسيو** : (متكبرا). لست خائفا.

**كارلوس** : مـــا حدث قبـــل قليل كان حادثا عابـــرا. يبدو أن ميغيلين لم يتمعن جيدا في تصرفه.

**ميغيل** : المعذرة يا فتى. كل ما حصل كان بســـبب السيد بابلو.

**ألبيرتو** : (يضحك). إنها البيداغوجيا.

**ميغيل** : نعـــم، لقد طبق عليـــك البيداغوجيا منذ اللحظة الأولى. إنك ســـتعتاد على ســـماع هذه الكلمة. لا تقلق. (يعود هو وإليســـا للجلوس على الكرســـيين يسارا. ينشغلان بالحديث وهما مشغوفان ببعضهما البعض).

**كارلوس** : هذا يكفي إلى حد الساعة. إن شئت أعدناك إلى المكتب.

**إغناسيو** : شكرا. أستطيع الرجوع بمفردي. وداعا. (يخطو خطوات نحو الخلف).

**كارلوس** : (بوداعـــة). لا، لن تســـتطيع... البـــاب يوجد من هذه الناحية. (يمســـكه من ذراعـــه بود ويتوجه به نحو اليمين، ينقاد إغناسيو دون اعتراض مطأطئا

رأسه). انتظريني هنا خوانا، سأعود حالا.

**خوانا** : حسنا. (يظهر من اليمين أب إغناسيو والسيد بابلو مدير المعهد. يدخل الأب مسرعا باحثا عن ابنه وقد استبد به القلق. إنه رجل منهك والشيخوخة أبكرت عليه، يلبس لباس موظف بسيط. يتبعه السيد بابلو مبتسما وهادئا، إنه في الخمسين من عمره، شعره أبيض عند الصدغين، تقدمه في العمر لم يمح عنه نضارة طفولية مبهمة، لباسه يعكس رزانة وأناقة، يستعمل نظارات سوداء).

**الأب** : يوجد إغناسيو هنا.

**السيد بابلو** : قلت لك سنجده. (مبتسما). بل يبدو أنه في صحبة جيدة. صباح الخير يا شباب. (ينهض كل الطلبة عند سماع صوته).

**الطلبة** : صباح الخير، سيد بابلو. (يقترب الأب من ابنه ويضع ذراعه على كتفيه في شيء من الخجل والحنان الأبوي، يظهر أن إغناسيو تضايق من ذلك).

**كارلوس** : لقد وقع التعارف بيننا وإغناسيو.

**خوانا** : كان كارلوس بصدد مرافقته إليكما.

**السيد بابلو** : (متحدثا إلى الأب). كما ترى فإن ابنك لم يحدث له شيء، بل إنه تعرف على أصدقاء جدد بسرعة. ومن بينهم أروعهم: كارلـــوس، إنه واحد من خيرة الطلبة بالمعهد، وخوانا أيضا.

**الأب** : (مقتصدا). تشرفت بمعرفتكما.

**خوانا** : نحن أيضا مسروران بمعرفتك.

**السيد بابلو** : ســـيجد ابنك راحته بيننا، كـــن متأكدا من ذلك. ســـيجد هنا الســـعادة والســـرور والرفقة الطيبة، وسيستمتع بالألعاب...

**الأب** : أجل، بالتأكيد. لكن الألعاب... الألعاب التي رأيتها هنا رائعة بلا شـــك! لم أكن أتخيل أبدا أن العميان يمكنهم لعب الكرة، ناهيك عن التزحلق في مزحلقة كبيرة وعالية كتلك! (بعد تردد). هل تظن، سيدي، أن ابني إغناسيو يمكنه فعل ذلك دونما خطر؟

**السيد بابلو** : ابنك ســـيفعل ذلك وأشياء أخرى كثيرة، لا تشك في ذلك.

**الأب** : ألن يسقط؟

**السيد بابلو** : وهل يسقط الآخرون؟

**الأب** : يبدو اللعب بتلك الألعاب مستحيلا دون أن يسقطوا أو يصابوا...

**السيد بابلو** : لا هاته ولا تلك، سيدي، هذه الألعاب وألعاب أخرى مر عليها زمن ألفناها فيه.

**الأب** : لكن هؤلاء الفتيان المساكين عميان! لا يرون شيئا!

**السيد بابلو** : لكنهم، في المقابل، يسمعون، ويسترشدون أحسن منك يا سيدي. (يتهامس الطلبة مؤكدين ذلك). ثم من جهة أخرى... (ساخرا). ألا تظن، سيدي، أن نعتهم بالمساكين لا يليق بهم. ما رأيك في ذلك أندريس؟

**أندريس** : إنك محق، سيد بابلو.

**السيد بابلو** : وأنتما، بيدرو وألبيرتو؟

**بيدرو** : بالتأكيد سيدي. نحن لسنا مساكين.

**ألبيرتو** : كل شيء إلا هذا النعت.

**لوليتا** : لو سمحت لنا سيد بابلو...

**السيد بابلو** : أجل، تكلمي.

**لوليتا** : (وسط ضحكات). لا شيء. أريد فقط أن أقول لك.. إني أنا وإسبرانسا نشاطرك الرأي.

**الأب** : المعذرة...

**السيد بابلو** : بل نحن من سيعتذر لك سيدي، فقد مارسنا عليك ما يشبه الرقابة على أقوالك، إن هي إلا توضيحات لا أكثر ولا أقل. نحن العميان، أو المكفوفون كما نقول نحن، نستطيع بلوغ كل ما قد يبلغه الآخرون. إننا نشغل وظائف مهمة، ونعمل في الصحافة ومجالات الأدب، وندرّس في الجامعات... نحن أقوياء وأصحاء واجتماعيون... نتحلى بمعنويات فولاذية. وفوق ذلك، ليست هذه بالنقاشات التي اعتدنا عليها. (للآخرين). على الجاهزين منكم أيها السادة أخذ أماكنهم في المدرج. لم يبق الكثير على حلول الساعة الحادية عشرة (وقت بداية الحفل). (مبتسما) إنه إعلان أخوي.

**أندريس** : شكرا لك، سـيد بابلو. هيا بنا يا شباب. (يخرج أندريـس وبيدرو وألبيرتـو والطالبتان بالتتابع من الباب يسارا).

**الطلبة** : نهار سعيد. نهار سعيد سيد بابلو.

**السيد بابلو** : إلى اللقـاء، إلى اللقاء أبنائـي. (يخرجون. تهم إليسـا بالنهـوض للذهاب برفقـة الآخرين إلا أن ميغيلين يجرها من ذراعها لتجلس. يعودان لإكمال حديثهما مشـبوكي الأيدي. تبقى خوانا وكارلوس واقفين جهة اليسار موليين انتباههما للسيد بابلو. لحظة صمت وجيزة).

**الأب** : أنا آسف. أنا...

**السيد بابلو** : لا تقلق، لم يحدث شيء ذو أهمية. جئت، سيدي، بالأحكام الجاهـزة التي يحملها عنا الناس الذين لا يعرفوننـا جيدا. أوَ تظن مثلا، سـيدي، أننا لا نتزوج...؟

**الأب** : لا أظـن هذا أبـدا... بل يمكنكم الـزواج في ما بينكم... هذا طبيعي...

**السيد بابلو** : لا سيدي. الزواج بين المكفوفين والمبصرين في تزايد مستمر هذه الأيام. أنا مثلا...

**الأب** : (مقاطعا). أنت سيدي؟!

**السيد بابلو** : نعم. أنا مكفوف منذ الولادة ومتزوج بمبصرة.

**إغناسيو** : (بشيء من الاستغراب). بمبصرة؟

**الأب** : أهكذا تسموننا؟

**السيد بابلو** : نعم، سيدي.

**الأب** : عفوا، لكن... بما أننا نطلق هذا النعت (مبصر) على الذين يقولون إنهم يتمتعون برؤية مضاعفة،...

**السيد بابلو** : (بفظاظة) طبيعيا. لكننا نحن، أكثر تواضعا بالضرورة، نسمي هكذا ببساطة من يستطيع الرؤية.

**الأب** : (وقد أصابه الارتباك). عفوا مرة أخرى، سيد بابلو.

**السيد بابلو** : لا داعي لذلك. كنت سأسَر جدا بأن أعرفك لزوجتي، لكنها لم تصل بعد. في كل الأحوال فإن

إغناسيو سيتعرف عليها، لأنها كاتبتي.

**الأب** : ســـأتعرف عليها في مناسبة قادمة. حسنا يا بني إغناسيو... ســـأذهب مرتاح البال وأنا أتركك في مكان رائع وآمن كهذا. لا شك أنه سيعجبك العيش هنا (إغناســـيو لا يتكلم. وقال متحدثا إلى كارلوس وخوانا:) وأنتما أيها الســـيدان، أرجوكما أن ترفعا مـــن معنوياته! (مازحا بغير ما مناســـبة). باثا فيه تلك المعنويات الفولاذية التي تتميزون بها.

**إغناسيو** : (منزعجا). أبي.

**الأب** : (يحضنه). نعم بني. ستخرج من هنا وقد أصبحت رجلا...

**السيد بابلو** : أنا متأكد من ذلك. ســـيصبح سيدا يحمل إجازة في غضون ســـنوات قليلة. (يخف التوتر بين الابن وأبيـــه، يتدخـــل كارلـــوس ويضع كفه علـــى ذراع إغناسيو).

**كارلوس** : الآن سنأخذ معنا زميلنا، بعد إذنكما.

**الأب** : أجل، هذا من دواعي ســـروري. (متأثرا). الوداع، إغناسيو... سأعود قريبا لرؤيتك...

**إغناسيو** : (ببرودة). إلى اللقاء أبي. (يتأثر الأب كثيرا، ينظر إلى الجميع بعينين مغرورقتين لا يستطيع الآخرون رؤيتهما، يظهر في حركته تأثر وارتباك شـــديدان: فهـــو لا يعلم أيحضن مجـــددا ابنه، أم يودع الطلبة أم يستشير السيد بابلو في أمر آخر، ينقل نظراته بحيث لا تستقر على مكان).

**السيد بابلو** : هل نذهب؟

**الأب** : أجل، أجل. (يتوجهان نحو الباب القصير).

**السيد بابلو** : (يتوقف). كارلوس، رافق إغناســـيو إلى المدرج، وعرّفه على ميغيلين، لأنهما سيتقاســـمان الغرفة نفسها.

**كارلوس** : ســـأفعل ســـيد بابلو، كن مطمئنا. (يرافق السيد بابلو الأب ليخرجا من الباب المؤدي إلى الشرفة، يظهـــران خلف الزجاج جهة اليمين والســـيد بابلو يشـــرح للأب أمورا يبدو أن الأب لا يفهمها جيدا، يخيـــم القلق على ملامح الأب ويزداد كلما فكر في أن عليه أن يأتي باســـتمرار ليطمئن على ابنه، هذا فـــي الوقت الـــذي يوجد فيه كارلوس وإغناســـيو وخوانا في الجانب الأيسر).

**كارلوس** : مؤســف جدا أنك لم تأت من قبل! هل بدأت من فورك الدراسة؟

**إغناسيو** : أجل، أنا الآن في البكالوريا.

**كارلوس** : أنا وخوانا مســتعدان لمســاعدتك. إن صادفتك مشــكلة أو احتجت إلى استشــارتنا في شيء فلا تتردد أبدا.

**خوانا** : هذا مؤكد.

**كارلوس** : حســنا، الآن سيرافقك ميغيلين لترتب أغراضك فــي غرفتكما، لكن قبل ذلك عليــك التعرف على المبنى، اصغ إليّ: المكان الذي نوجد فيه الآن هو نادينــا، حيث تعتبر منــذ الآن واحدا من أعضائه، هنا في الوسط لا يوجد شيء (يقوده)،، وذلك لكي لا يتعثر أحد. سنعرفك على أماكن وجود الكراسي والموائد. (يوجهه جهــة اليمين). لكن يجب عليك التخلي حالا عن العصا، لن تكون في حاجة إليها!

**خوانا** : (تحاول أخذها منه). هاتها. سنتركها عند البوّاب ليحتفظ بها.

**إغناسيو** : (ممتنعـــا). لا، لا. إني أعجـــز عن الحركة دونها. لا تزعجا نفســـيكما بتعريفي على المبنى، فإني لا أستطيع ذلك. (صمت).

**كارلوس** : المعذرة. كما تشـــاء. لكن عليك التغلب بســـرعة على ذلك العجـــز... ألم تدرس المرحلة الابتدائية بمدرستنا؟

**إغناسيو** : لا

**خوانا** : ألست مكفوفا منذ الولادة؟

**إغناسيو** : بلى، لكن... عائلتي...

**كارلوس** : حســـنا، لا تهتم. كلنا هنا مكفوفـــون منذ الولادة درسنا في المعاهد التي يديرها السيد بابلو.

**خوانا** : كيف وجدت السيد بابلو؟

**إغناسيو** : رجلا... تبدو سعادته سخيفة.

**كارلوس** : إنـــه كأي إنســـان يعيش نجاح أعمالـــه التي حلم بتحقيقها. فأين السخافة في ذلك؟

**خوانا** : لو سمعتك السيدة بيبيتا...

**كارلوس** : إنك ستتعرف على أساتذة آخرين لا يقلون سعادة عن السيد بابلو.

**إغناسيو** : هل هم أيضا عميان؟

**كارلوس** : يُقـال مكفوفـون... (لحظة صمت). حسـن... كل وحالته الخاصة. فأسـتاذ البيولوجيا مكفوف ومتزوج بالأسـتاذة المسـاعدة فـي اللغات، وهي مبصرة. أستاذ مادة الفيزياء أيضا مبصر، وأستاذ مادة...

**إغناسيو** : مبصر...؟

**خوانا** : نعم مبصر. ما الغريب في ذلك؟

**إغناسيو** : اسمع كارلوس، وأنت

**خوانا** : هل يمكن الزواج بين أعمى ومبصرة؟

**كارلوس** : هل يبدو لك ذلك غريبا؟

**خوانا** : أجل، هناك أمثلة كثيرة على ذلك!

**إغناسيو** : وبيـن مبصر وعمياء؟ (صمـت) أجب كارلوس؟ (لحظة صمت). وأنت خوانا؟

**كارلوس** : أنـــا وخوانا نعرف مثالا علـــى ذلك، إنهما زوجان عجوزان...

**إغناسيو** : مثالا واحدا.

**خوانا** : وبيبي مع لويسيتا. إنهما سعيدان جدا!

**إغناسيو** : اثنان.

**كارلوس** : (مبتســـما). لا أقصد الإهانة إغناســـيو... لكنك تبدو متأثرا شـــيئا ما بسبب قدومك إلى هنا، كيف أشرح ذلك؟ تبدو غير طبيعي... لِتَطمئن. إن هذه الدار تفيض ســـعادة، وستنال نصيبك منها، سيمر كل شـــيء على أحســـن ما يرام. (ضربت بود على كتفه. تبتسم خوانا).

**إغناسيو** : قد أكون... غير طبيعي. كلنا كذلك.

**كارلوس** : (مبتسما). سنتحدث عن ذلك لاحقا، ينقصنا هنا ميغيليـــن، أليس كذلك خوانا؟ أظنـــه ما يزال هنا ولم يذهب بعـــد. ميغيلين! (ينتبه ميغيلين منزعجا دون أن يبـــدي حركة). لا تلعـــب دور الميت، أعلم أنك هنا. (يتلمس الطريق نحوه، يمســـك ميغيلين

بيد إليســا بقوة، ينجح كارلــوس في الوصول إليه ويلمسه وسط ضحكات).

**ميغيل** : سأعاملك بالمثل أنا أيضا عندما تكون مع خوانا. ماذا تريد؟

**كارلوس** : تعال معي.

**ميغيل** : لا أريد.

**كارلوس** : تعال معي، علي أن أبلغك بأمر صادر عن الســيد بابلو.

**ميغيل** : (يتحرك في جلســته منزعجا). إن لم يشمل ذلك الأمر إليسا أيضا، فلن أذهب.

**إليسا** : هلا كففت عن اســتعمالي في نكتك؟ أتظن ذلك مناسبا؟

**ميغيل** : لا. لا أظن.

**خوانا** : تعالي أنت أيضا إليسا. حان الوقت لنكون لوحدنا ونتحدث قليلا.

**ميغيل** : مــا من حل. (يتنهّد). هيا بنا. (يأخذ بيد إليســا

ويمشيان خلف كارلوس ليقتربا من خوانا وميغيلين) ماذا هناك؟

**كارلوس** : (لإغناســيو). هذا ميغيليــن. مجنون هذه الدار. صاحب الحادث قبل قليل. فكاهي المؤسسة وجالب الحظ فيها. ســبع عشرة سنة، رغم صغر سنه إلا أنه فتى كبير. إليسا هي حاضنته الخاضعة.

**ميغيل** : حاضنتي اللطيفة! اللطيفة جدا!

**إليسا** : هلا صمت!

**ميغيل** : لا أستطيع!

**كارلوس** : حسنا مدا يديكما لمصافحة الوافد الجديد.

**ميغيل** : (يمد يده ويقول لإليســا). هيا حاضنتي... مدي يدك لمصافحة زميلنا الجديد. (تمد إليســا يدها ولم تستطع تفادي الإحساس بقشعريرة غريبة).

**كارلوس** : (لإغناســيو). سيكون ميغيلين زميلك في الغرفة، إنها تعليمات عليا، لكــن إن وجدت أنك لن تتآلف مع ميغيلين، فالأجدر بك ألا تكتم الأمر، وســنجد حلا لذلك في الحين.

**إغناسيو** : لماذا لــن نتآلف؟ فنحن الاثنــان أعميان. (تدنو خوانا من إليسا وتشرعان في الحديث بينهما).

**ميغيل** : أسمعت كارلوس؟ ألم أقل لك إنه كثير المزاح...

**إغناسيو** : بل أنا جاد في قولي.

**ميغيل** : آه! هكذا إذن؟.. شــكرا لك، علــى أي حال فأنا لا أعتبر نفســي ذا حظ ســيئ للغاية، سوء حظي الوحيد هو أن عليّ تحمل...

**إليسا** : (مقاطعة). اســكت أيها المعتــوه! أعرف إلى ما تلمح. (يضحك الجميع ما عدا إغناسيو).

**ميغيل** : أمــا فرحتــي الكبرى، أن ليس هنــاك حماة في انتظاري.

**إليسا** : أخرق!

**ميغيل** : (للفتاتين). لماذا لا تستمران في ثرثرتكما؟ كنتما أفضل بذلك. (تتهامسان وتكتمان ضحكات). إنها نجوى النساء، إغناسيو! لا يوجد شيء رهيب أكثر من ذلك. (تقرصه خوانا وإليسا). آي ! آي ! لم أقل شيئا ! (ضحكات) حسنا. كارلوس، وأنت إغناسيو:

أقترح عليكما هروبـا جماعيا إلى المقصف، لكن دون مرافقة الفتيات، سنشرب كأسا !

**كارلوس** : موافق.

**خوانا** : تشكلون جبهة إذن؟ سنناقش هذا فيما بعد.

**كارلوس** : إنها لحظة...

**ميغيل** : لا تستسلم أيها الجبان! ولنسرع إلى المقصف. أيتها السيدتان ! ما ستفصلانه لي أريده حريريا فضفاضا وبه غمد لسيفي، أما كارلوس فيكفيه لباس سباحة فقط.

**خوانا** : اذهب الآن!

**إليسا** : (في الآن نفسه). غبي ! (يتوسط ميغيل كل من إغناسيو وكارلوس ويتوجهون يمينا).

**إليسا** : لنبدأ حديثنا!

**خوانا** : أجل لنبدأ ! (تهرولان للجلوس على الأريكة مشبوكتي اليدين، في حين يمر السيد بابلو خلف الزجاج ويدخل من الباب الخلفي، يقترب من الفتاتين ويتوقف عند سماعهما). مر زمن لم نتحادث!

**إليسا** : كم احتجت ذلك! إنه كالهواء بالنسبة إلي.

**السيد بابلو** : هل أقاطعكما؟

**خوانا** : لا، أبدا. (تنهضان). لم نبدأ بعد.

**السيد بابلو** : وعمن كنتما ستتحدثان؟ هل عن الطالب الجديد؟

**إليسا** : لا أظن... بل عن طلبة أقدم منه.

**خوانا** : (خجلة). إليسا!

**السيد بابلو** : (يضحك). إنه حديث جميل. (بجدية). لكن هذا العجوز المزعج أتى للتحدث عن الطالب الجديد. أظن أن إليسا قد تعرّفت عليه.

**إليسا** : أجل سيدي. (تظهر السيدة بيبيتا في الشرفة خلف الزجاج، تمر وتتوقف عند الباب، إنها في الأربعين من عمرها، تتأبط محفظة من الجلد. ترنو إلى زوجها بنظرات ملؤها الحنان وهي تبتسم).

**السيد بابلو** : (الذي استشعر وجودها، ينقل نظره إلى الفراغ). لحظة... زوجتي. (يحول نظره جهة الباب).

**السيدة بيبيتا** : (تقتــرب منه). مرحبا بابلــو. اعذرني، أعلم أني تأخرت قليلا.

**السيد بابلو** : (يمسك يدها برقة لم تستطع السنوات تغييرها). ما أزكى رائحتك اليوم بيبيتا.

**السيدة بيبيتا** : كســائر الأيام بابلو. مرحبا آنستاي. أين تركتما فارسيكما المغوارين؟

**إليسا** : لقد تخليا عنّا وذهبا مع الصديق الجديد.

**خوانا** : المسكين، إنه ظريف.

**إليسا** : أنا لا أراه ظريفا.

**السيد بابلو** : لا تتكلمي عن زميل لك بهذه الطريقة يا آنســة. خاصة أنه لــم يمض وقت طويل على معرفتك به. (للســيدة بيبيتا). كارلوس وميغيليــن ذهبا برفقة طالب جديد في البكالوريا جاءنا قبل قليل.

**السيدة بيبيتا** : هكذا إذن؟ وكيف يبدو هذا الطالب الجديد؟

**السيد بابلو** : كمــا ســمعت، فإنه لم يحظ بانطباع حســن من هاتين الآنستين.

**خوانا** : إطلاقا. أنا أرى أن إليسا متسرعة جدا في الحكم عليه.

**السيد بابلو** : نعـــم، متســـرعة قليـــلا. ولهذا الســـبب بالذات سأوصيكما ببعض التوصيات.

**خوانا** : بخصوص إغناسيو؟

**السيد بابلو** : أجـــل. (للســـيدة بيبيتا). وســـتتكلفين أنت أيضا بالسهر على تنفيذها بين الفينة والأخرى.

**السيدة بيبيتا** : هل الأمر خطير؟

**السيد بابلو** : كالعادة. معنويات ضعيفة.

**السيدة بيبيتا** : هذا يحصل دائما.

**السيد بابلو** : أجل، لكن الأمر معقد شـــيء مـــا هذه المرة. إنه فتى حزين ومحبط، لا يتلقى بإيجابية الحب الذي يكنّـــه له والداه. إنه مدلّل جدا، يدرّســـه أســـاتذة خصوصيون... إنه الابن الوحيد لديهما. حسنا، قد فهمت الأمر. ينبغي، كما في حالات سابقة، تدخل بعض الطلبة ليقدموا له العون بطريقة ذكية.

**خوانا** : لقد ســـبق لنـــا وأن حاولنا إقناعـــه بالتخلي عن العصا، لكنه رفض. قال بأنه عاجز بدونها.

**السيد بابلو** : لهذا علينا تحسيسه بأنه إنسان نافع وأن كل الطرق مفتوحة أمامه إن توافرت لديه الجرأة، لا شك في

أن لديــه هنا نماذج وأمثلة تُحتذى ويجب أن نجعله يهتدي بها، معتمدين في ذلك على الكياسة وحسن التدبير، وأنا أثق في قدراتكما آنســتاي، (لخوانا). وفي قــدرات كارلوس بالتحديد، ســأكلّفه بالجزء الأهم: نســج صداقة حقيقية معــه، صداقة تبعث السعادة في قلبه، لن يكون الأمر صعبا... فالفتيان مثله يكونون متعطشــين إلى الحنان والســعادة لا يمكنهــم الإعراض عند ذلك عندمــا يتمكنون من هدم الأسوار التي بداخلهم.

**السيدة بيبيتا** : لماذا لا تجعله يتقاسم الغرفة مع ميغيلين؟

**السيد بابلو** : (بحركة من رأسه وهو يبتسم). لقد فعلت ذلك... لكنه ليــس ضروريــا أن تبلغي ميغيليــن بذلك يا إليســا، إن اعتبر هذا الإجراء مهمة يجب تنفيذها فلن يحقق النتيجة المرجوة.

**إليسا** : لن أقول له شيئا.

**السيدة بيبيتا** : حســنا، المسألة تتلخص إذن، في زرع المعنويات الفولاذيــة التي نتميز بها في إغناســيو، وذلك في أسرع وقت ممكن.

**السيد بابلو** : صحيح. سنوقف الكلام هنا، فالحفل سيبدأ بعد

قليل، أيتها الآنستان... أنا مرتاح لأنكم أنتم الأربعة من سيتفرغ للمهمة.

**خوانا** : كن مطمئنا، سيد بابلو.

**السيد بيبيتا** : إلى اللقاء، بنيتي.

**خوانا** : إلى اللقاء، سيدة بيبيتا.

**السيدة بيبيتا** : بابلو، إن لم تكن تحتاجني في شيء آخر فسآمر بوصل مكبرات الصوت، إن الفتيان لهم الحق في حصتهم من الموسيقى قبل بداية الحفل... (تذهب السيدة بيبيتا والسيد بابلو يسارا وهما يتحادثان. تعبر خوانا وإليسا الجانب الأمامي بخجل ووئام ظاهر).

**خوانا** : لنبدأ حديثنا! (إليسا لا تجيب، تبدو مهمومة. تلحّ عليها خوانا). لنتحدث!

**إليسا** : (تفكر). لم تعجبني المهمة التي كلّفنا بها المدير، إغناسيو هذا به شيء لا يمكن تحديده يثير نفوري، هل تؤمنين أنت بالتأثير المغناطيسي؟

**خوانا** : أجل يا امرأة، ومن منا لا يؤمن بذلك؟

**إليسا** : الكثيرون يؤكدون أن ذلك غير ممكن.

**خوانا** : إنهم حمقى... لم يجربوا العشق.

**إليسا** : (تضحك). إنــك محقة. لكن التأثير الذي تعنينه أنت هو التأثير الجيد، ولا بد أن هناك تأثيرا آخر سيئا.

**خوانا** : ما هو؟

**إليسا** : (حنقــة). الذي ينبعث من إغناســيو. عندما كان بيننا اعتقدت أنني أشعر بالاختناق، شيء من الغم والانزعاج ألمّا بي... وعندما صافحته شــد يدي بشــكل مرعب. إنها يد جافة حارقة... مشــحونة بنوايا سيئة!

**خوانا** : أنا لم ألحظ ذلك. بدا لي لطيفا. (لحظة صمت). ثم.. إنه.. إنســان تعيس. هذا الفتى ينقصه فقط التكيّف مع محيطه الجديد، ليس إلا. أما أنت، فكفّي عن التفكير في ذلك التأثير السيّئ والفارغ!

**إليسا** : (بمكر). أفضل التأثير المنبعث من ميغيلين!

**خوانا** : (تضحك). وأنا أفضل تأثير كارلوس! لحظة. لقد

خطــرت لي فكرة... (صمت. تبــدأ فجأة مكبّرات الصوت البعيــدة تنثر في الجو نغمات موســيقية هادئة، إنها مقطوعة «ضوء القمر» لبيتهوفن).

**إليسا** : ما هي؟

**خوانا** : استمعي. ما أحلاها! (لحظة صمت).

**إليسا** : هل يمكننا الاسترسال في حديثنا؟

**خوانا** : أجل، أجل. اســتوقفتك آنفــا... لأني قد وجدت حلا لمشكلة إغناسيو.

**إليسا** : صحيح؟ ما هو؟

**خوانا** : (بعذوبة). الحل بالنسبة لإغناسيو هو... أن تكون لديه صديقة... وعلينا أن نجدها. لنفكر سوية في من يمكنها أن تكون صديقــة له من بين زميلاتنا. (لحظــة صمــت). أراك لا تجيبين؟ ألــم تعجبك الفكرة؟

**إليسا** : بلى، ولكن...

**خوانا** : إنها فكرة رائعة! ألا تتذكرين أيام كنا نتنزه سوية، قبــل أن يكــون كارلوس وميغيلين قد حســما بعد

قرارهما؟ لن تنكري أننا أيامها كنا حزينتين شـــيئا ما... ولم نلحق بعد حينها بركب السعادة كما يحلو لكارلـــوس أن يقول. (تقبلها إليســـا). كم كان رائعا إحساسنا عندما أسررنا لبعضنا البعض لأول مرة! عندها قلت لك: «إنه صرّح بحبه لي يا إليسا!».

**إليسا** : «وأنا سألتك كيف حدث ذلك؟ هيا احكي لي ماذا وقع»!.

**خوانا** : نعم. وعندما ســـألتك عن ميغيلين، أجبت بحزن: «لا... ميغيلين لم يحدثني بعد في شـــيء... إنه لا يحبني».

**إليسا** : وفعل ذلك في اليوم التالي!

**خوانا** : مدفوعـــا دون شـــك من كارلوس حبيبـــي، إنهما مشاكسان. هما أيضا يتساران فيما بينهما.

**إليسا** : وبعد ذلك...، جاء اللقاء الأول...

**خوانا** : (حالمة). بل جاء قبل ذلك...

**إليسا** : (مندهشة). ماذا؟ (يأخذ إليسا الفزع فجأة عند سماعها نداءات ميغيلين التي تحمل نبرة حزن).

**ميغيل** : إليسا! إليسا! إليسا! (يظهر من جهة اليمين).

**إليسا** : (تجري نحوه فزعة). أنا هنا يا ميغيلين! ما بك تصرخ؟

**ميغيل** : تعالي!... (يغيّر فجأة نبرة صوته الحزينة بأخرى ساخرة)... تعالي أعانقك.

**إليسا** : يا لك من مشاكس!

**خوانا** : هناك قراصنة بالقرب يا ميغيلين، فكن حذرا.

**ميغيل** : أعلم، أعلم، وقد أخذوا الغنائم من التجار بمدافعهم. حسن، لنذهب إليسا.

**خوانا** : وماذا عن كارلوس؟

**ميغيل** : لن يتأخر في المجيء. قال لي أن أبلّغك بأن تنتظريه هنا.

**خوانا** : وأين تركتما إغناسيو؟

**ميغيل** : بقي في غرفتي. قال إنه متعب ولن يحضر الحفل... حسنا إليسا، علينا الذهاب لنأخذ مكانا جيدا.

**إليسا** : نعم، هيا بنا. هل ستبقين خوانا؟

**خوانا** : سنلحق بكما حالا أنا وكارلوس... احتفظا لنا بمقعدين بجانبكما.

**ميغيل** : سنعمل على ذلك. إلى اللقاء بعد قليل. (يخرج ميغيلين وإليسا من الباب الأيسر. تبقى خوانا وحيدة، تتمشى ببطء وهي تسمع المعزوفة وتطلق زفرة، يصل فجأة إلى مسامعها صوت لا تخطئه، إنه صوت دقات عصا. تتسمر خوانا في مكانها متحسسة الصوت، يظهر إغناسيو من اليمين ويتوجه بخطوات متئدة نحو الباب الخلفي).

**خوانا** : إغناسيو! (يتوقف إغناسيو). هذا أنت، أليس كذلك؟

**إغناسيو** : بلى، هذا أنا. وأنت خوانا.

**خوانا** : (تقترب منه). ألم تكن في غرفتك؟

**إغناسيو** : قدمت منها من فوري... وداعا. (يبدأ في المشي).

**خوانا** : إلى أين تذهب؟

**إغناسيو** : (ببرودة). إلى البيـــت. (تندهش خوانا ولا تدري ماذا تقول). وداعا. (يخطو خطوات).

**خوانا** : لكن، إغناسيو... لقد جئت للدراسة معنا!

**إغناسيو** : (يتوقف). لقد غيّرت رأيي.

**خوانا** : في هذا الوقت الوجيز؟

**إغناسيو** : كان كافيـــا. (تقترب خوانا وتأخـــذ بلطف بطيّة قميصه عند العنق. يضطرب إغناسيو لذلك).

**خوانا** : لا تدع نفســـك تنقاد لهذه النـــزوة العابرة... ثم، كيف ستصل إلى بيتك؟

**إغناسيو** : (يتحاشـــى لمســـها إياه وهو غاضب). هذا ليس صعبا.

**خوانا** : لكن أباك سيســـتاء لهذا كثيرا! ثم ماذا ســـيقول السيد بابلو؟

**إغناسيو** : (بنبرة ازدراء). السيد بابلو...

**خوانا** : ونحن، كلنا سنحزن لذهابك، لقد أصبحت واحدا من رفاقنا... رفيق رائع، رفيق سنمضي معه مسارا دراسيا سعيدا لا ينسى.

**إغناسيو** : اصمتـــي! كلكم تجيـــدون إغضابـــي. بمن فيهم أنت! بل إنك أبرعهم في فعل ذلك! مســـارا دراسيا سعيدا! يبدو أن «السعادة» هي كلمة السر هنا، لقد تســـممتم بها. ليس هذا أبدا مـــا توقعت أن أجده هنا. ظننت أني ســـألتقي... برفاقـــي الحقيقيين، وليس بزمرة من الواهمين.

**خوانا** : (ترتسم على شفتيها ابتسامة خفيفة). إغناسيو، يا لك من مسكين. اشفق عليك.

**إغناسيو** : احتفظي بشفقتك لنفسك!

**خوانا** : لا تغضـــب! مـــا يحصل لك طبيعـــي جدا. كلنا مررنا بمرحلة شبيهة بالتي تمر بها الآن، وما هو إلا يوم وتـــزول. (بدهاء). لدي حل لما أنت فيه. (لحظة صمت). إن هدأت وأنصت إليّ، ســـأقول لك ما هو.

**إغناسيو** : أنا هادئ!

**خوانا** : اصـــغ إلـــيّ... إن مـــا ينقصك هـــو أن تكون لك صديقة. (صمت. يضحك إغناسيو على مضض). أتضحك؟ (تبتسم) لقد نجحت بسرعة!

**إغناسيو** : (يكــفّ عن الضحك صارما). لقد أصابكم ســم الســعادة. لكنكم تعيشــون حياة رتيبة وحزينة من دون أن تدركوا ذلك... خاصة أنتن الفتيات، حالكن هنا كحال الأخريات بالخارج، إنكن تُعِدن أنفســكن بشكل مقرف، سواء كنتن عمياوات أم لا. لست أول من اقترح عليّ هذه الفكرة الخرقاء، جاراتي فعلن ذلك قبلك.

**خوانا** : أحمق! ألم تفهم أنهن يحمن حولك؟

**إغناسيو** : لا! هــن أيضــا كن مرتبطات...، كمــا هي الحال بالنسبة إليك. كن يقترحن عليّ ذلك الحل الأخرق. لكم أنتن مفتونات بسعادة الحب البلهاء. اقتراحكن ذاك لا يعدو أن يكون كرما زائفا، كلكن تقلن: «لماذا لا ترتبط بإحداهن؟» لكن ليســت منكن من قالت، وفي صوتها تلــك النبرة الخالــدة للحب الصادق: «أحبــك» (ثائرا). بمن فيهن أنت، أم أنا مخطئ؟ أم أنك قلتها ولم ألتقطها؟ (صمت). لســتُ في حاجة لحبيبــة. ما أحتاجه هو كلمــة «أحبك» تنبع من كل أعماق القلــب! «أحبك كما أنــتَ، بحزنك وقلقك، لأشــاركك معاناتك، وليس لآخــذك إلى أي مملكة

تعم فيها سعادة زائفة». إن نساء كهؤلاء منعدمات.

**خوانا** : (يظهر أنها مست في أنوثتها). ربما إنك لم تطلب ذلك من أي واحدة.

**إغناسيو** : (بشدة). من مبصرة؟

**خوانا** : وما المانع؟

**إغناسيو** : (ساخرا). من مبصرة؟

**خوانا** : لا يهم! من امرأة! (لحظة صمت).

**إغناسيو** : بئســا لكن كلكن، وأنت فــي مقدمتهن! ابقي في ســعادتك، إلى جانــب كارلوس حبيبــك، اللطيف جــدا والحكيم... إن هــو إلا معتــوه، لأنه يتوهم نفسه سعيدا، ومثله ميغيلين، والسيد بابلو وكلكم، ألا إنكم لا تســتحقون الحياة، لأنكم تجتهدون في الهروب من معاناتكم، لأنكم تأبون مجابهة مآسيكم وتعاستكم، متظاهرين بعيش حياة مادية موهومة، لأنكم تدأبون على النسيان، بل وتنصحون التعساء بأخذ حمام من السعادة كي تُبعث فيهم... (تتململ خوانــا). أو تظنين أني لا أعلــم ذلك! لقد حدثته، إن ســيدكم بابلو ألمح بسذاجته لأبي بذلك، وأبي

طلب منكما ذلك بلا اســتحياء... (متهكما). إنكما الطالبان النموذجيان والمعاونان الوفيان للأساتذة في حربهم ضد اليأس، الذي يعشــش في كل ركن مــن أركان هذه الدار. (صمت). إنكم عميان! إنكم عميان! ولستم مكفوفين أيها الحمقى!

**خوانا** : (وقــد اهتزت مشــاعرها). لا أعلم مــاذا أقول لك... كما أني لا أريد الكذب عليك... لكن اشــكر على الأقل نيتنا الحسنة. ابق ! جرّب...

**إغناسيو** : لا.

**خوانا** : مــن فضلــك ابــق! لا يمكنك الذهــاب الآن؛... ســيكون ذلك فضيحة. وأنا أجد نفسي غير قادرة على إقناعك بكلامي... لا أعلم كيف وما الســبيل إلى إقناعك.

**إغناسيو** : لن تستطيعي إقناعي.

**خوانا** : (تجمــع يديها مترجية إياه وهــي مضطربة). لا تذهــب. أنــا بلهاء، أعلــم ذلك... تفوقــتَ في أن تجعلني أشعر بضعفي وعجزي... إن ذهبتَ فسيعلم الجميع أني كلمتك ولم أستطع شيئا. ابق!

**إغناسيو** : إنك مغرورة!

**خوانا** : (معزية). ليس غرورا إغناسيو. (بحزن). هل ترغب في أن أطلب منك ذلك جاثية على ركبتي؟ (لحظة صمت قصيرة).

**إغناسيو** : (ببرودة). لماذا جاثية؟ سمعت أن هذا الفعل يحدث تأثيرا قويا لدى المبصرين... لكننا نحن لا نراه. لا تكوني حمقاء، لا تتحدثي عن أشياء تجهلينها، لا تحاكي من ينعمون حقا بالحياة، وكفّي عن إظهار ضعفك هذا المثير للاشمئزاز. أرجوك ! (لحظة صمت طويلة). سأبقى.

**خوانا** : شكرا!

**إغناسيو** : شكرا؟ إنكم تخوضون صفقة خاسرة. لأنكم مسالمون جدا، وفاترون جدا وغير صادقين. أما أنا فأحترق بداخلي، أحمل بداخلي نارا رهيبة، لا تتركني أعيش، وقد يمتد لهبها ليحرقكم جميعا... أحترق في هذا الذي يسميه المبصرون ظلاما، إنه شيء رهيب...، لأننا لا نعرف ما هو. ستلقون الحرب منّي لا السلام.

**خوانا** : لا تتحدث هكذا. كلامك يؤلمني. المهم أنك ستبقى. أنا متأكدة أن ذلك سيكون أفضل لنا جميعا.

**إغناسيو** : (ساخرا). هبلاء... وحمقاء، تفاؤلك وعماك سيان... النار التي تهلكني ستهلككم جميعا.

**خوانا** : (تغتم مجددا). لا يا إغناسيو. لم الحرب؟ أليس ممكنا أن نعيش جميعا في سلام؟ إني لا أفهمك جيدا. لماذا تعاني بهذه الشدة؟ ماذا يحدث لك؟ ما الذي تريده؟ (لحظة صمت).

**إغناسيو** : (بكل طاقة مكنونة). أن أبصر!

**خوانا** : (تبتعد عنه مذهولة). ماذا؟

**إغناسيو** : أجل! أن أبصر! رغم أني أعلم أن هذا مستحيل. رغم أن حياتي كلها تتبدد بعقم في هذه الرغبة، إلا أنني أريد الإبصار! لا أستطيع الخضوع للأمر الواقع. لا يجب علينا الخضوع. بل ليس علينا حتى الابتسام! والاستكانة لسعادتكم الخرقاء، سعادة العميان، هذا ما لن يحصل أبدا! (صمت). ورغم عدم وجود أي امرأة ذات قلب قادر على مرافقتي في محنتي، سأمضي لوحدي، رافضا أن أعيش

خاضعا، لأننـــي أريد أن أبصر! (صمت. تســـتمر مكبـــرات الصوت البعيدة في إصدار الموســـيقى، تبقى خوانا ساكنة في مكانها ويدها على فمها من شـــدة غمها. يدخل فجأة كارلوس بسرعة من جهة اليمين).

**كارلوس** : خوانا ! (صمت. تلتفت إليه خوانا بشكل غريزي، ثم تلتفت إلى إغناسيو محتارة دون أن تنبس بكلمة). ألســـت هنا خوانيتا؟...خوانا! (خوانا لا تجيب ولا تتحرك، كذلك يفعل إغناسيو وهو غارق في حزنه وغمه، يفقد كارلوس ثقته الغريزية، يشعر بالوحدة بشكل غريب. إنه أعمى. يمد يديه إلى الأمام بتلك الحركة الأبدية للمس الهواء ويمشي بخطوات إلى الأمام بحذر). خوانا !... خوانا !... (يخرج من جهة اليسار مناديا من جديد بصوت واثق ورخيم).

ستار

# الفصل الثاني

قاعة التدخين. تبرز خلف الزجاج أغصان الأشجار وقد تساقطت أوراقها، بقيت أوراق قليلة صفراء متمسكة ببعض الأغصان. تظهر على أرضية الشرفة الأوراق المتساقطة والجافة تحركها الرياح يمنة ثم يسرة.

(توجد إليسا في الشرفة مستندة على حافة الباب، يبدو أنها في حالة من الحزن، تبعثر هبات النسيم خصلات شعرها. بعد لحظات، يدخل من اليمين خوانا وكارلوس، يتأبط كل منهما ذراع الآخر، ويحاولان سدى أن يكتما عن بعضهما القلق الذي ينتابهما).

**كارلوس** : خوانا...

**خوانا** : نعم.

**كارلوس** : ما بك؟

**خوانا** : لا شيء.

**كارلوس** : لا تحاولي إخفاء ذلك عنّي. مر وقت وأنت على هذه الحال...

**خوانا** : (مراوغة). أي حال؟

**كارلوس** : تبديــن كأن هما... قــد ألّم بــك. (يجلس على أحد الكراسي بالوســط وتجلس هي على الأريكة بجانبه).

**خوانا** : لا. لست مهمومة... (لحظة صمت).

**كارلوس** : كنّــا دائمــا نحدّث بعضنــا عما يشــغلنا... ألن تمنحيني الآن لحظة سعادة بمشاركتك همومك؟

**خوانا** : لكني لست مهمومة! (لحظة صمت).

**كارلوس** : (يمسك يدها ويداعبها). بلى، بلى إنك قلقة. أنا أيضا قلق.

**خوانا** : أنت أيضا؟ وما سبب قلقك؟

**كارلوس** : الحالة التي سبّبها... إغناسيو. (لحظة صمت).

**خوانا** : وهل تظنها خطرة؟

**كارلوس** : ما رأيك أنت؟ (مبتسما). هيا، حدّثيني بصراحة... كنت دائما صريحة معي.

**خوانا** : إنّــي حائــرة... أعتقــد أنّــي أتحمّل جــزءا من المسؤولية في ما يجري.

**كارلوس** : (ببرودة). مسؤولية؟

**خوانا** : أجل. سبق وأن حدّثتك أنّي استطعت ثنيه عن الذهاب يوم افتتاح السنة الدراسية، أما الآن فأعتقد أن ذهابه كان سيكون أفضل.

**كارلوس** : كان سيكون أفضل، لكن الوقت مازال سانحا لإيجاد حل لذلك، ما رأيك؟

**خوانا** : ربما.

**كارلوس** : البارحة كان عليّ قول الشيء نفسه للسيد بابلو.. لكم أذهلني ما رأيت منه من تأثر. لم يستطع أن يوضّح وجهة نظره؛ لكنّه أخذ يروّح عن نفسه كاشفا لي عن مخاوفه وتوجساته... إنه يجد الطلبة أكثر تحفظا وعزائمهم خائرة مقارنة بالماضي، تنافسهم في الدراسة أصبح فاترا... حاولت مواساته. إن حالة الاضطراب التي وجدته عليها جعلتني أشفق عليه، وأشعر نحوه بإحساس... غريب جدا.

**خوانا** : إحساس غريب؟ ما هو؟

**كارلوس** : أجد نفسي لا أجرؤ على قوله...إنه إحساس جديد بالنسبة لي... إحساس قريب من... الاحتقار.

**خوانا** : كارلوس !

**كارلوس** : لم أســتطع تفادي ذلك. آه، تذكّرت، سألني أيضا عما يحدث لإليســا، وإن كانت قــد تخاصمت مع ميغيلين. لم أشــأ أن أشــرح له التفاصيل مراعاة لميغيلين.

**خوانا** : المســكينة إليســا! لمّا كنّا علــى المائدة نتناول وجبة الغداء انتبهت جيدا إلى أنها كانت تأكل على مضض. (لحظة صمــت) غريب أنها لم تأت بعد. (لا ترد إليســا على هذه الكلمــات رغم أنها على مقربة منهما، إنها مستغرقة في التفكير. كما أنهما أيضا لم يشــعرا بحضورها: يبــدو أن الرابط قد انقطع بين هؤلاء العميان).

**كارلوس** : لقــد تأخّر الوقت. لحظــات ويمتلئ المكان، من المؤكــد أنها لجــأت إلى مكان تخلو فيه بنفســها (يغضــب فجأة). إنه من أجلها، ومن أجلنا جميعا، ومــن أجل ذاك الأبله ميغيلين، يتوجب علينا إيجاد حل لهذا الوضع!

**خوانا** : وكيف السبيل إلى ذلك؟

**كارلوس** : لقــد أثبت لنا إغناســيو أن المــودّة واللطف لا يجديــان معه، إنه جلف فظ الطباع... إنه مريض! يرد على المودة بالشر.

**خوانا** : إنه مضطرب، يفتقر للسلم النفسي...

**كارلوس** : لا يهنأ بالســلم ولا يريده. (صمت غاضب). إنها الحرب إذن!

**خوانا** : (تنهض فجأة للتخفيف من انفعالها). الحرب؟

**كارلوس** : ما بك؟

**خوانا** : (عنــد الطرف الأمامــي). لقد نطقــت كلمة... بغيضة جدا... أليس اللطف أفضل دائما؟

**كارلوس** : إنك لا تعرفين إغناســيو. إنه فــي باطنه جبان، يجــب علينا التصدي لــه. من كان يظــن أنه بعد مجيئــه، وبعد أن عملنا على الرفــع من معنوياته، أنه يســتطيع تشــتيت أواصرنا! إننا نفقد مواقعنا يا خوانا، إنه يملك قوة على نشر العدوى لا نملكها نحن.

**خوانا** : لقد فكّرت في ما مضى بأن أبحث له عن حبيبة... لكني لم أجدها، لكم سيكون هذا الحل أفضل!

**كارلوس** : لن يجدي ذلك نفعا، إغناسيو من طينة الرجال الذين لا تستطيع أي امرأة تغييرهم. إنه في هذه اللحظة كما تعلمين محاط بالفتيات... يذهبن إليه كأنهن ينجذبن نحوه بفعل تأثير مغناطيسي. أما هو فيزدريهن. لم يبق لنا سوى طريق واحد نسلكه: استخدام المنطق والحجة لسحب الثقة منه أمام الأصدقاء، جعله غير مرغوب فيه وإجباره على الرحيل من هنا!

**خوانا** : سيكون ذلك فشلا ذريعا للمركز!

**كارلوس** : فشلا؟ المنطق لا يعرف الفشل، ونحن أصحاب المنطق.

**خوانا** : (بحزن) أجل... لكن ارتباطه بإحداهن قد يجعله شخصا آخر.

**كارلوس** : (بحنان) تعالي... اقتربي! (تقترب منه بمهل. يأخذ بيدها). خوانيتا حبيبتي، لكم يعجبني لطفك! لو كنت طبيبة لعالجت الناس بالدواء فقط، ولما

استعملت المشرط أبدا. (تجلس خوانا مبتسمة على الكرسي بمحاذاته). لقد بقينا نقاتل لوحدنا، خوانا، فلا تنسحبي أنت أيضا. (لحظة صمت).

**خوانا** : لماذا تقول هذا الكلام؟

**كارلوس** : لا شيء. فقط لأني أحتاجك الآن أكثر من أي وقت مضى. (يدخل إغناسيو والطلبة الثلاثة من الباب الخلفي، لم يتخل إغناسيو عن عصاه، وقد ازداد إهمالا لأناقته: إنه لا يرتدي ربطة العنق).

**أندريس** : من هنا إغناسيو. (يقوده نحو الكراسي يسارا).

**إغناسيو** : هل جاءت الفتيات!

**ألبيرتو** : لا أسمع لهن صوتا.

**إغناسيو** : هذا جيد. لقد أصبحن لا يطقن.

**أندريس** : لا تهتم بهن. لقد وصلنا، اجلس. (يخرج علبة سجائر). خذ سيجارة.

**إغناسيو** : لا، شكرا. (يجلس). لماذا تدخنون؟ أمحاكاة للمبصرين؟

**أندريس** : إنك محق. أول سيجارة كانت لفعل ذلك، وأسوأ ما في الأمر أن ذلك يتحول إلى عادة سيئة. خذا أنتما. (يناول السجائر لألبرتو وبيدرو، يجلسون ويشعل كل واحد منهم سيجارته بعود ثقاب ويضعون العود في المنفضة. يشد كارلوس جانبي كرسيه بأصابع متشنجة وتنتقل خوانا للجلوس على الأريكة).

**كارلوس** : (بنبرة فيها شيء من التحدي). مساء الخير يا أصدقاء.

**إغناسيو وأندريس وألبيرتو:** (بنفور). أهلا.

**بيدرو** : أهلا، كارلوس. ماذا تفعل هنا؟

**كارلوس** : أنا هنا جالس مع خوانا. ( يرفع إغناسيو رأسه).

**إغناسيو** : إن الجو رائع هنا. إنه فصل خريف جميل.

**أندريس** : الوقت ما يزال مبكرا، ما تزال الشمس تغمر الشرفة.

**بيدرو** : حسنا إغناسيو، أتمم لنا حكايتك.

**إغناسيو** : أين توقّفنا؟

**ألبيرتو** : توقّفنا عندما قلت إنك تعثرت.

**إغناسيو** : (يستلقي في مقعده ويطلق زفرة). أجل، كان ذلك عندما كنت أنزل الدرج، مثل هذا الحادث قد يحصل لأي منا، تعد الدرجات وتحسب أنك وصلت نهايتها، بعد ذلك تتقدم بكل ثقة، تخطو خطوة فيلتوي كاحلك تحت ضغط جسدك فتسقط أرضا. التوى كاحلي فلم أستطع الوقوف، انقبض قلبي، وأصبحت ساقاي كأنهما من القطن، وأخذت الفتيات يضحكن بملء أفواههن. كانت ضحكة نقية لا تشوبها سوء نية، لكنني شعرت بأنها تخترقني، وأحسست بوجهي يحترق. لقد حاولن أن يكتمن ضحكاتهن، لكن ما يفتأن يفعلن ذلك حتى ينطلقن مجددا. ألاحظتم كيف أن النساء غالبا لا يستطعن التخلي عن الضحك؟ إنهن يغضبن بشدة، لكنهن لا يستطعن التخلي عن الضحك... كنت على وشك البكاء. كان عمري آنذاك لا يتجاوز الخمس عشرة سنة! جلست حينها على درجة وأخذت أفكر. لأول مرة أحاول فهم لماذا أنا أعمى ولماذا يجب أن يكون هناك عميان. لكم هو بغيض أن أغلب الناس الذين لا يفوقوننا قيمة، ودون أي استحقاق يذكر، ينعمون بقوة عجيبة تنبع من أعينهم، بها يستطيعون

احتضاننـــا وطعننا من دون أن نســـتطيع نحن تفادي ذلك! لقد حرمنا من هذه القدرة على إدراك الأشياء عن بعد، وأصبحنا في مرتبـــة دنيا من أولئك الذين يعيشون الآن في الخارج، دون أي سبب! كان العميان زمن آبائنا ينتدبون زاوية في الشـــارع ويرددون بنبرة استعطافية طلبا للصدقة عبارة، «لا شيء أغلى من نعمـــة البصر يا إخوان»، ربما أنها لا تتوافق مع حياة الطلبة الهنيئة التي نعيشها نحن هنا، لكني أعتقدها أكثر صدقا وأجلّ قيمة. لأنهم لا يفعلون كما نحن، لا يرتكبون حماقة الاعتقاد بأنهم أسوياء. (كلما استمع كارلـــوس لكلمة من كلام إغناســـيو إلا وازداد غضبه حدة، ولا يبدو أنه يســـتطيع كظمه. يرتسم على وجه خوانا تأثر خفي كأنها تجد نفسها في بعض ما يقوله إغناسيو).

**أندريس** : (متحفظا). لعلك محـــق... كثيرا ما راودتني أنا أيضا مثل هذه الأفكار. أعتقد أن العمى لم يحرمنا فقط من إدراك الأشـــياء عن بعد، بل حرمنا أيضا مـــن متعة ما، من متعة عجيبة، لا شـــك في ذلك. كيـــف تتصور أن تكـــون تلك المتعة يا إغناســـيو؟ (ينفذ ميغيلين إلى الشـــرفة من جهة اليســـار، إنه

لم يفقد شيئا من بشاشة الوجه، يمر بجانب إليسا من دون أن يشـــعر بها- تتحرك إليسا مبدية شيئا من التوجس- يصل ميغيلين إلى الداخل في الوقت الذي يتحدث فيه إغناسيو).

**إغناسيو** : (يومـــئ بيديه إيماءة ملأى باللهفة والعنف، ويبرز عن غير وعي حاسة اللمس الرهيفة التي يستمدها من تأملاته). أعتقد أنها شـــيء أشـــبه بدغدغات تعبر باستمرار أعيننا لتحرك أعصابنا وأحشاءنا... فتجعلنا نشعر براحة أكثر وبحال أفضل.

**أندريس** : (يطلق زفرة). لا بد وأنها كذلك.

**ميغيل** : مرحبا يا فتيان! (تســـمعه إليســـا في الشـــرفة، ترفع رأســـها وتضم يديها إلـــى صدرها وتبدأ في الاقتراب).

**بيدرو** : أهلا، ميغيلين.

**أندريس** : لقد جئـــت في الوقت المناســـب لتقول لنا كيف تتصور أنت متعة الإبصار.

**ميغيل** : آه، حســـنا! أما أنا فأرى الأمـــر بطريقة مخالفة تماما لما تقدم به إغناســـيو، لكن لا شيء من هذا

يســتحق الاهتمام، لأنــه خطرت لي اليــوم فكرة عبقريــة، لكن لا تضحكوا، الفكرة كالتالي: نحن لا نبصر، جيد، هل ندرك مــا البصر؟ لا. لا ندركه. لأن البصر لا يمكن إدراكه. وبالتالي فالمبصرون لا يبصرون هم أيضا. (يضحك الجميع حتى القهقهة، ماعدا إغناسيو).

**بيدرو** : وماذا تسمي ما يفعلونه إن لم يكن إبصارا؟

**ميغيل** : كفاكم ضحكا أيها المعتوهون. (لبيدرو). سألتني ماذا أســميه؟ إنهم يعانون من وهم جماعي، جنون الإبصــار! إننا نحن الأســوياء الوحيدون في عالم المجانيــن هــذا. (ينفجــرون ضحكا بمــن فيهم ميغيلين، بينما ينتاب إليسا حزن شديد).

**إغناسيو** : (يقطــع الضحكات بصوت غــارق وكئيب). لقد وجد ميغيلين حلا للمسألة، لكنه حل أجوف. حلك هذا قد يسمح لنا بالعيش في هناء لو لم نكن نعلم جيدا أن البصر موجود. (يزفر). لذلك فإن فكرتك العبقرية لا تفيدنا في شيء.

**ميغيل** : (يظهــر فجأة الغم في نبرة صوته) لكن، ألم يكن ذلك بحق مسليا؟

**إغناسيو** : (مبتسما). هذا صحيح. لقد عرفت كعادتك كيف تخبئ تحت رداء من المرح بؤسك المعقّد. (يأخذ ميغيل الأمر بجدية أكثر).

**إليسا** : (لم تطق الصبر أكثر). ميغيلين!

**خوانا** : إليسا!

**ميغيل** : (بنبـــرة مبتذلـــة). خوانـــا! أنت هنـــا! رائع! أين كارلوس؟

**كارلوس** : أنا هنا، وإن ســـمحتم لي (يضغط على يد خوانا فوق الكرسي منبها إياها). سأجلس بينكم. (يجلس يسار الجميع).

**إليسا** : ميغيلين، اصغ إليّ! تعال معي نتمشـــى قليلا في ســـاحة الرياضة! إن الجـــو رائع هنـــاك! هل أنت موافق؟

**ميغيل** : (بـــدون رغبـــة). لقد جئت من فـــوري من هناك إليسا. وهذه محادثة شيّقة جدا. لماذا لا تجلسين بجانب خوانا؟

**خوانا** : تعالي إليســـا. يوجد هنا مـــكان بجانبي. (تطلق

إليســا زفرة ولا تنطق بكلمة. تجلس بجانب خوانا التــي تحاول التخفيف عنهــا وإخراجها من غمها، بعــد ذلك يأخذهما الإصغــاء للحديث الذي يدور بين إغناسيو وكارلوس).

**ألبيرتو** : هل سمعت ما دار بيننا من حديث يا كارلوس؟

**كارلوس** : أجــل يــا ألبيرتو. ســمعت، وقــد كان غاية في الأهمية.

**أندريس** : وما رأيك؟

**كارلوس** : (يزن كلامه). لم أفهم بعض ما تفضلتم به. تعلمون أني رجل عملي. إلى أي نتيجة منطقية يقودكم هذا النقاش؟ هذا ما لم أستطع فهمه، وبالأخص عندما لا أجد في كلامكم شيئا آخر غير القلق والحزن.

**ميغيل** : تمهّل! لقد كانت هناك ضحكات أيضا... (بحزن مصطنــع مجــددا). ضحكات كان ســببها البؤس المعقّد لهذا العبد الضعيف. (ضحكات).

**كارلوس** : (بنبرة أكثر عزما). آســف ميغيلين، لكنك أحيانا لا تكــون مرحا على الإطــلاق، لكن دعنا من هذا. (بصــوت أراده قويــا). أمــا أنت إغناســيو (يهتز

إغناسيو إثر سماعه نبرة كارلوس). أريد أن أوجه إليك سؤالا أنت بالذات: هل كنت تقصد بكلامك الذي قلته أننا نحن المكفوفين نشكل عالما مغايرا لعالم المبصرين؟

**إغناسيو** : (يظهر عليه الخوف، يتنحنح). كنت أودّ أن أقول...

**كارلوس** : (مقاطعا بحزم). من فضلك. هل كنت تقصد ذلك، نعم أم لا؟

**إغناسيو** : نعم... عالمنا ليس كعالمهم... عالمنا أكثر بؤسا.

**كارلوس** : فكلامك إذن غير صحيح ! عالمنا وعالمهم سيان. ألسنا ندرس كما يدرسون؟ أليس دورنا في الحياة الاجتماعية كدورهم؟ ألسنا نتوفر نحن أيضا على أدوات الترفيه؟ ألسنا نمارس الرياضة؟ (لحظة صمت). ألا نحب، ألا نتزوج؟

**إغناسيو** : (بمكر). ألا نبصر؟

**كارلوس** : (يأخذه الغضب). نعم. لا نبصر! لكنهم أيضا فيهم الأكتع والأعرج، أو مبتور اليدين أو الرجلين، فيهم المشلول والمريض بالأعصاب أو بالقلب أو

بالقصور الكلــوي، فيهم من يموت في العشــرين من عمره بســبب الســل أو يُقتلون في الحروب أو يقضون بالمجاعة.

**ألبيرتو** : هذا مؤكد.

**كارلوس** : طبيعي إنه مؤكد! إن البؤس والتعاســة قسّــمت بطريقة متســاوية بين الناس، ولكننا نحن لا نمثل قســما هامشــيا من هذا العالم. هل تريد برهانا قاطعا علــى ذلك؟ الزيجات التي تقــع بيننا وبين المبصرين. إنها اليوم في ازدياد مستمر، وقد تصير هي القاعدة غدا... لقد مر زمن حققنا فيه أهدافا كبيرة ما دمنا نفكر بهذه الطريقة، بدلا من أن نردد باكين عبارة: «ما من شيء أغلى من نعمة البصر»، التــي ذكرتها آنفا. (للآخرين موبخا). والأدهى من ذلك أنكم أنتم أبناء هذه الدار استطعتم أن تشكوا في ذلك ولو للحظة. (لحظة صمت). قد نستطيع تفهّم شــك وحيرة إغناســيو... إنه لا يعلم بعد كم هي كبيرة وحرة وســعيدة الحياة التي نعيشها. لم يكتســب بعد الثقة في نفسه، إنه خائف من تخليه عــن العصا... وأنتم من يتوجّب عليكم مســاعدته لاكتساب تلك الثقة ! (صمت).

**أندريس** : ماذا تقول في هذا يا إغناسيو؟

**إغناسيو** : إن الحجج والبراهين التي يسوقها كارلوس ضعيفة جدا. وهذه المحادثة قد انقلبت سجالا. ألن يكون أفضل تركها؟ أنا أقدّرك يا كارلوس، ولا أودّ...

**بيدرو** : لا، لا. بل عليك أن ترد.

**إغناسيو** : الواقع أني...

**كارلوس** : (ساخرا، يظن نفسه منتصرا). لا عليك يا رجل. ردّ عليّ، ليس هناك شيء أكثر إزعاجا من أن تجد فقط نصف حل لمسألة ما.

**إغناسيو** : إنك تنسى أن المسائل العظيمة تبقى دائما بلا حل، لسوء الحظ. (ينهض ويخرج من وسط الجمع).

**أندريس** : لا تذهب!

**كارلوس** : (برفق ظاهر). دعه يا أندريس... إني أتفهم موقفه، إنه لم يكتسب بعد الثقة في نفسه...

**إغناسيو** : (بجانب المائدة يمينا). لذلك أحتاج عصاي، أليس كذلك؟

**كارلوس** : ها أنت قلتها بنفسك...

**إغناسيو** : (يتناول دون إصدار أي ضجيج منفضة السجائر التي فوق المائدة ويضعها في جيب سترته). كلنا نحتاج العصا لكي لا نتعثّر.

**كارلوس** : ما يجعلك تتعثر هو الخوف، واليأس! ستبقى تحمل العصا حياتك كلها. وستتعثّر حياتك كلها. لتكن لك الجرأة على الاحتذاء بنا! فنحن لا نتعثّر!

**إغناسيو** : إنك واثق جدا من نفسك، لعلك في يوم ما تتعثّر فتصاب بأذى كبير... ربما يحدث لك ذلك في وقت أقرب مما تتصور. (صمت). علاوة على ذلك، فأنا لم أشأ الانصراف، أطلب منكم فقط السماح لي بالردّ على كارلوس وأنا أتمشى... هكذا أستطيع ترتيب أفكاري جيدا. (يأخذ بقائمة المائدة، يحملها ويتمشى مبرزا صوت دقات عصاه، يصل وسط الخشبة ويضعها برفق دون إصدار أي ضجيج). يظهر أنك، يا كارلوس، تودّ أن تقول لنا أنه يجب الجرأة وكسب الثقة، وأن الحياة هي نفسها بالنسبة لنا كما بالنسبة للمبصرين...

**كارلوس** : تماما.

**إغناسيو** : إنك تبالغ في ثقتك. ثقتك هذه وهمية... ثقة لن تستطيع مقاومة أدنى تعثّر. تسخر من عصاي، لكن عصاي تسمح لي بالمشي هنا، كما أفعل الآن، دون أن أخاف التعثر بأي عقبة. (يتوجه نحو أمامية الخشبة يمينا ثم يستدير. المائدة الآن تقع وسط الخط المستقيم الذي يصله بكارلوس).

**كارلوس** : (يضحك). أي عقبة؟ لا توجد هنا أي عقبة ! هل أدركت مدى جبنك؟ إن استخدمت معرفتك بالمكان دون خوف، كما نفعل نحن، لرميت بتلك العصا.

**إغناسيو** : لا أريد أن أتعثر.

**كارلوس** : (مندفعا). لكنك لن تتعثر! كل شيء هنا مرتب لتفادي ذلك. ليس في هذه الدار مكان لا نعرفه، العصا قد تفيد في الشارع، لكن هنا...

**إغناسيو** : إنها ضرورية هنا أيضا. كيف يمكننا نحن العميان المساكين أن نعرف ما يخبّئه لنا محيطنا؟

**كارلوس** : لسنا مساكين! هذا نعلمه جيدا! (يطلق إغناسيو ضحكة جهورية). كفّ عن الضحك!

**إغناسيو** : المعذرة. لكني أجد تفاؤلك.. سخيفا جدا... إن طلبت منك مثلا أن تقف وتأتي مسرعا إلى حيث أتواجد أنا الآن، هل ستجعلنا نعتقد بأنك ستفعل ذلك دون أن تشعر بأدنى خوف...

**كارلوس** : (ينهض فجأة). بكل تأكيد! هل تريد أن أقوم بذلك؟ (صمت).

**إغناسيو** : (بشدة). أجل، أنا أرجوك، لكن بسرعة قصوى، لا تنس ذلك.

**كارلوس** : حالا! (يمد باقي العميان رقابهم للإنصات. يخطو كارلوس خطوات سريعة لكنه سرعان ما يبطئ السير وعدم الثقة تتضح في ملامح وجهه، يمد ذراعيه، وما لبث أن تلمّس المائدة في طريقه حتى سيطر عليه إحساس قوي بالبغض).

**إغناسيو** : إنك تمشي على مهل.

**كارلوس** : (يمر بجانب المائدة ويتقدم بقبضتي يديه إلى الأمام حتى أصبح أمام إغناسيو). لن تصدق ذلك. فها أنا هنا.

**إغناسيو** : لكنك ارتبكت لوهلة.

**كارلوس** : أبـــدا! جئت بثقة فـــي أن أقنعك بأن مخاوفك لا أســـاس لها. ويبدو أنك... قد اقتنعت أنه ليســـت هناك أي عقبة.

**إغناسيو** : (منتشيا بالنصر). لكنك شعرت بالخوف، لا تنكر ذلك! (للبقية). لقد شـــعر بالخوف، ألم تســـمعوه حين ارتبك وتوقف؟

**ميغيل** : عليك الاعتراف بذلك، كارلوس. لقد انتبهنا كلنا لذلك.

**كارلوس** : (محمّر الوجه). لم أفعل ذلك خوفا! توقفت لأني أدركت فجأة...

**إغناسيو** : أدركـــت ماذا! لعله كانت هنـــاك عوائق ما؟ إن لم تكن تسمي هذا خوفا فسمّه كما تشاء.

**ميغيل** : هدف لصالح إغناسيو!

**كارلوس** : (متمالكا نفســـه). إنه الواقع، لـــم يكن خوفا، بل كان بسبب شـــيء... شيء لا أستطيع شرحه، هذا الاختبار يعد لاغيا.

**إغناسيو** : (برفـــق). ليس لدي مانع من قبـــول ذلك. (بينما

يتكلــم يتوجه صوب الجمــع للجلوس مرة أخرى). لكننــي ما زلــت مطالبــا بالــردّ علــى براهينك وحججــك... إننا نــدرس، أجل (للجميــع). لكننا ندرس فقط عُشر المواد التي يدرسها المبصرون. نمارس الرياضة...، لكن بأقل من تســعة أعشــار مما يمارسه المبصرون. (يجلس في سكينة. يبقى كارلوس واقفا في مقدمة الخشــبة، يضم ذراعيه المتوترتين إلى صدره لاحتواء غضبه). أما في ما يخص الحب...

**ألبيرتو** : لا يمكنك أن تتكر ما قاله بهذا الصدد.

**إغناسيو** : الحب شــيء رائع. كالحــب الذي يجمع مثلا بين كارلــوس وخوانــا. (تهتز خوانا لذلــك وهي التي ســمعت بقلق شــديد الفظاعات التي تخللت هذا الســجال). لكن روعة ذلك الإحســاس لا تعدو أن تكــون مجرد محاكاة ســاخرة وحزينة للحب الذي يجمــع بين المبصريــن! لأن المبصريــن يملكون الشــخص المحبوب بكامله. يقدرون على احتوائه بنظــرة واحدة. نحن نملك... الأجــزاء. المداعبة والمناغاة بصوت يتخلله ســجع قصير... نحن في

الحقيقة لا ننعم بالحب، نشفق على بعضنا ونحاول إخفـــاء ذلك العطـــف الحزين بحماقـــات نصبغها بالســـعادة، فنســـمي ذلك حبا، أظـــن أن ذلك كان سيكون أروع لو لم نحاول تمويهه.

**ميغيل** : الهدف الثاني لصالح إغناسيو!

**كارلوس** : (متمالكا أعصابه). أظنك قد نسيت الإجابة عن شيء آخر مهم جدا...

**إغناسيو** : من الممكن.

**كارلوس** : الزيجات التي تحصل بين المكفوفين والمبصرين. ألا تدل على أن عالمنا وعالمهم سيان؟ أليس ذلك حجـــة دامغة علـــى أن الحب الذي نحســـه والذي يجعل الذين يحبوننا يحسون به أيضا ليس محاكاة ساخرة؟

**إغناسيو** : إن هو إلا ضرب من الشـــفقة، تماما كما يحصل مع الآخرين!

**كارلوس** : هل تجرؤ على الزعم بأن الســـيد بابلو والســـيدة بيبيتا لم يحبا بعضهما البعض؟

**إغناسيو** : (يضحك بسخرية لاذعة). لكن، لا أريد أن يؤول كلامي بشكل مغلوط من طرف أي أحد...

**أندريس** : نعدك بكتمان السر. (تتقدم السيدة بيبيتا يمينا في الشرفة متوجهة نحو الباب، تشاهد العميان من خلف الزجاج وتتوقف حال سماع اسمها).

**إغناسيو** : إن واحة التفاؤل حيث يحلم كارلوس لا تدعه يقف عند الحقيقة. (لكارلوس). لهذا لم تتمكن من الاطلاع على جزئية مهمة جدا تعرّفنا عليها من خلال زيارة الأقارب لنا. جزئية غاية في الأهمية. سبب زواج السيد بابلو من السيدة بيبيتا هو أن السيد بابلو في حاجة إلى عصا (يضرب بعصاه الأرض)؛ لكن، علاوة على ذلك (يصمت قليلا). تزوجا بسبب واحد من الأشياء التي لا نفهمها نحن العميان، لكنه في غاية الأهمية بالنسبة للمبصرين. هو أن... السيدة بيبيتا غاية في القبح! (صمت. شيئا فشيئا تبدأ الفكرة تعجب العميان، فينفجرون ضحكا حتى كاد بعضهم يسقط أرضا. يسيطر على كارلوس غضب كبير ولا يدري ماذا يقول).

**ميغيل** : الهدف الثالث لصالح إغناسيو! (تزداد الضحكات

قوة. يشبك كارلوس يديه خلف ظهره. تضع خوانا رأسها بين راحتيها متوحدة. تطأطئ السيدة بيبيتا رأسها حزنا، تكبح شعورها وتتدخل).

**السيدة بيبيتا** : (بود). مســـاء الخير، أبنائـــي الصغار! أراكم جد مسرورين. (تخمد الضحكات عند سماع صوتها). لا بـــد وأنهـــا نكتة أخـــرى من نـــكات ميغيلين... أليـــس كذلك؟ (الـــكل يقف، بعضهم يحـــاول كبح الضحكات).

**ميغيل** : لقد أصبت التخمين، سيدة بيبيتا.

**السيدة بيبيتا** : لكنـــي مضطـــرة لتقريعـــك لكونـــك تضيع وقت أصدقائك بهـــذه الطريقة. اقتربـــت الثالثة ولحد الآن لـــم تذهبوا بعـــد إلى الســـاحة لتتمرنوا... لا أدري أي مرتبـــة ســـيحتلها مركزنا في منافســـات التزحلق؟ هيا! الجميع إلى الساحة!

**ميغيل** : المعذرة، سيدتي.

**السيدة بيبيتا** : لا بأس. الآن أرنـــي مهاراتك في حلبة التزحلق. أما أنتما آنســـتاي فتعاليا نشـــم الهـــواء قليلا في الشـــرفة. (يخـــرج الطلبـــة واحدا تلـــو الآخر إلى

الشـــرفة ويختفون يسارا وهم يكبحون ضحكاتهم. يبقى كارلوس وإغناسيو وخوانا وإليسا في القاعة. بعدهـــا توجه الســـيدة بيبيتا الـــكلام إلى كارلوس بحنـــان مميّـــز. إنه الطالـــب المفضـــل لديها في المركـــز. ربما ترى فيه الابن الـــذي لم تتمكن من إنجابه مع الســـيد بابلو... أو لعلها تكون مشغوفة به قليلا دون أن تدري ذلك). كارلوس، السيد بابلو يريد التحدث إليك.

**كارلوس** : سأذهب إليه حالا، سيدة بيبيتا. عندما أفرغ من أمر صغير مع إغناسيو.

**السيدة بيبيتا** : أمـــا أنت إغناســـيو، ألا ترغب في التزحلق؟ متى ستقرر التخلي عن عصاك؟

**إغناسيو** : لا أجرؤ على ذلك ســـيدتي. ثـــم، ما الداعي إلى التخلي عنها؟

**سيدة بيبيتا** : ألا ترى، بني، كيف أن رفاقك يمشون ذهابا وإيابا دون الحاجة إليها؟

**إغناسيو** : لا سيدتي. أنا لا أرى شيئا.

**السيدة بيبيتا** : (بفظاظـــة). أجل، أعرف ذلـــك. أرجو المعذرة. إنها طريقة كلام... هل نذهب آنستي؟

**خوانا** : متى أحببت.

**السيدة بيبيتا** : (تتوسط الفتاتين وتحيط بذراعيها خصريهما). ستبقيان هنا أيها السيدان. (بود). كارلوس، لا تنس السيد بابلو.

**كارلوس** : اطمئني. سأذهب إليه حالا. (تتقدم السيدة بيبيتا والفتاتان نحو دربز الشرفة لتطلا على الساحة. تتحدث السيدة بيبيتا بحيوية وهي تشرح للعمياوتين ما يقع أثناء التزحلق. يعود إغناسيو للجلوس. صمت).

**إغناسيو** : أنت من سيتحدث الآن. (كارلوس لا يقول شيئا. يقترب من المائدة ويأخذها ليردها إلى مكانها الأصلي مصدرا ضجيجا قويا. بعد ذلك يتواجه مع إغناسيو).

**كارلوس** : (فجا). أين وضعت المنفضة؟

**إغناسيو** : (مبتسما). آه! أجل، لقد نسيتها، خذها. (يمدها إليه، يتحسس كارلوس الهواء ويلتقطها بشدة).

**كارلوس** : لا أعلم هل انتبهت إلى أني كنت على وشك ضربك!

**إغناسيو** : ولو فعلت، فذلــك لن يزيد حجتك قوة. (يتمالك كارلوس نفســه. بعد ذلك يذهــب ليعيد المنفضة إلى مكانهــا، يضرب بها على المائدة فتصدر دويّا كبيرا، ثم يعود إلى جانب إغناسيو).

**كارلوس** : (يأخذ نفسا عميقا). اسمع يا إغناسيو. لنتحدث بصدق، وبنية خالصة في أن نتفاهم.

**إغناسيو** : أظن أنني أفهمك جيدا.

**كارلوس** : أقصد أن نتفاهم عمليا.

**إغناسيو** : إنه أمر ليس بالهيّن.

**كارلوس** : هذا صحيح. لكن، ألا ترى ذلك ضروريا؟

**إغناسيو** : ولماذا ضروري؟

**كارلوس** : (وقــد نفد صبــره، يحــاول تمالــك أعصابه). ســأحاول شــرح الأمر. ما دمت تصــر على عدم تركك لتشاؤمك- وهذا بالنسبة لي موقف يستحق كل تقديــر- لكــن ما أجده غير مقبــول نهائيا هو أنك تسعى لنقل عدواك للآخرين! فبأي حق تفعل ذلك؟

**إغناسيو** : أنا لا أسعى لشيء. كل ما في الأمر هو أنني أتحدث بكل صراحة وصدق، وما سميته أنت بعدوى ما هو إلا استيقاظ للصدق لكل واحد مع نفسه. إني أرى ذلك سليما جدا ما دام الصدق هنا يكاد يكون شبه معدوم. لكن قل لي أنت، في مقابل ذلك، بأي حق تنصح الناس دائما بأخذ جرعات من السعادة والتفاؤل وكل هذه الترهات؟

**كارلوس** : إغناسيو، تعلم جيدا أن هذه ليست كتلك. ما أقوله لرفاقي يمكن أن يفيدهم في الحصول على حياة سعيدة نسبيا، أما كلامك أنت فيدمرهم، يرمي بهم في هوة اليأس والتعاسة، يجعلهم يهملون دراستهم. (تنادي السيدة بيبيتا من الشرفة الطلبة الذين يتمرنون على التزحلق في الساحة، يكفّ إغناسيو وكارلوس عن الكلام عند سماعها).

**السيدة بيبيتا** : إنها المرة الثانية التي تسقط فيها ميغيلين! إن أداءك سيئ جدا. أما أنت يا أندريس، ماذا دهاك؟ لماذا لا تنطلق؟... آه! واحد آخر يسقط. إنكم كل يوم تفقدون الثقة في أنفسكم...

**كارلوس** : هل سمعت؟

**إغناسيو** : وبعد؟

**كارلوس** : إنك أنت السبب في هذا!

**إغناسيو** : أنا؟

**كارلوس** : نعم، أنت! وها أنا أدعوك، إلى مراجعة نفسك... وإلى المشاركة في إبقاء هذا المركز نظيفا من المشاكل والهلاك. أظن أن ذلك يهمّنا جميعا.

**إغناسيو** : أنا لا يهمني ذلك في شيء! هذا المركز قد أسّس بنيانه على كذبة. (تضع السيدة بيبيتا يديها على ذراعي العمياوتين، تقبّلهما بحنان ثم تنصرف من يمين الشرفة. تقترب خوانا وإليسا من بعضهما).

**كارلوس** : أي كذبة؟

**إغناسيو** : مفادها أننا أناس أسوياء.

**كارلوس** : لسنا الآن بصدد مناقشة هذا الأمر!

**إغناسيو** : (ينهض). لن نناقش أي شيء آخر! لا يوجد أي اتفاق ممكن قد يحدث بيننا. لأتحدث كما أشاء ومتى أشاء ولن أتنازل عن أي غنيمة أجدها في طريقي. أي غنيمة!

**كارلوس** : (تتشـنج أصابع يديه. يتمالك نفسـه). حسـنا، وداعـا. (يذهـب مسـرعا يمينا. يبقى إغناسـيو بمفرده، يردد بتصفير حزين بعض ألحان المعزوفة الهادئة «ضوء القمر»، بعد لحظة، يتوكأ بيديه على العصا ويطأطئ رأسه. لحظة صمت. تدخل لوليتا من باب الشرفة، وبعد لحظة تدخل إسبرانسا من جهـة اليمين، يشـرق وجه كل واحـدة منهما عند سـماع خطوات الأخرى. تتقدمان حتـى تلتقيان، وبصوت واحد تقريبا تبدآن في الهتاف):

**لوليتا** : إغناسيو!

**إسبرانسا** : إغناسـيو! (يبقى إغناسيو دون حركة ولا إجابة. تضحكان بشيء من الخجل وقد خاب ظنهما).

**لوليتا** : إنه ليس هنا أيضا.

**إسبرانسا** : (حزينة). إنه يتفادانا.

**لوليتا** : هل تظنين ذلك؟

**إسبرانسا** : يتحـدث معنا بتلطف...، لكنـه يزدرينا. إنه يعلم أننا لا نفهمه.

**لوليتا** : ألا يمكن أن توجد... امرأة ما في حياته؟

**إسبرانسا** : كنا سنلاحظ ذلك.

**لوليتا** : من يعلم! إنه كتوم جدا... ربما هناك امرأة ما.

**إسبرانسا** : لنبحث في الصالون، قد نجده هناك.

**لوليتا** : هيا بنا. (تخرجان يسارا وهما تناديان عليه. صمت. يبدو أن إليسا وخوانا تناقشان موضوعا ما في الشرفة، تبدو إليسا مضطربة جدا؛ تحاول الإفلات من خوانا التي تمنعها من الدخول إلى قاعة التدخين).

**إليسا** : (ما زالت في الشرفة). دعيني! لقد ضقت ذرعا من إغناسيو. (تنفلت وتنفذ من الباب إلى داخل القاعة، يرفع إغناسيو رأسه).

**خوانا** : (في إثرها). اهدئي يا إليسا. اجلسي هنا.

**إليسا** : لا أريد الجلوس !

**خوانا** : اجلسي... (تجعلها تجلس برفق على الأريكة وتجلس بجانبها).

**إليسا** : أنا أكرهه! أكرهه!

**خوانا** : لحظـــة يا إليســـيتا. (ترســـل صوتهـــا). هل من أحد هنا؟ (إغناســـيو لا يجيب. تمســـك خوانا بيد صديقتها).

**إليسا** : كم أبغضه!

**خوانا** : ليس من الخير أن تبغضي أحدا...

**إليسا** : لكنه أخذ منّي ميغيلين وسيسلبنا السكينة جميعا. ميغيلين حبيبي!

**خوانا** : ميغيلين سيعود إليك. لا تشك في ذلك. إنه يحبك. ثم إنه لم يحصل بينكما أي مشـــكل! إنه فقط غير مهتم هذه الأيام... كان دائما متقلّب الأحوال، خاصة عندما يستجد شيء ما. إغناسيو بالنسبة له مجرد تسلية عابرة. وميغيلين في آخر المطاف رجل! كنت ستعانين كثيرا لو أنه ضعف أمام إحداهن... وهذا لم يحدث، إنه ما زال يحبك.

**إليسا** : لو أنه خدعني مع فتاة أخرى لكان أفضل!

**خوانا** : ماذا تقولين يا امرأة!

**إليسا** : أجل. ما أعانيه الآن أدهى وأمّر. هذا الرجل قد غسل دماغه ولم أعد أحتل مكانا داخل فكره.

**خوانا** : أظنك تبالغين.

**إليسا** : لا... لكن، استمعي. لا يوجد أحد هنا؟.

**خوانا** : لا. لا يوجد أحد.

**إليسا** : ظننـــت... (صمت. تعود لإكمـــال حديثها بالنبرة نفســـها التي كانت تتحدث بها). قلت لك هذا في اليـــوم الأول، خوانيتا. هـــذا الرجل مليء بالخبث. كيف اســـتطعت حـــدس ذلك! هـــل لاحظت كيف يتصنع آلام المســـيح عند استشـــهاده بغية كسب مريديـــن جـــدد! إن الرجال معتوهـــون. وميغيلين أكثرهم حمقا. لكنني أحبه! (تبكي في صمت).

**خوانا** : أسمعك يا إليسا... كفّي عن البكاء...

**إليسا** : (تنهض لتداري ضيقها وحزنها). أحبه، خوانا!

**خوانا** : مـــا يحتاجه ميغيلين هو القليل من عدم الاكتراث به من قبلك... و أن لا تلاحقيه كثيرا.

**إليسا** : أعلم أني أضع نفسي في موقف حرج. ولا أجد لذلك

حلا. (تقف بمحاذاة إغناسيو الذي يقطع أنفاسه، تجففّ عينيها لآخر مرة وتحتفظ بالمنديل).

**خوانا** : حاولي أن تفعلي ما قلت لك! هكذا سيرجع إليك.

**إليسا** : كيف أفعل ذلك وهذا الرجل يوجد بيننا؟ إن وجوده يلغيني... آه! إني أشعر برغبة جامحة في أن أصفعه! لو أستطيع أن أعرف ما يخططه الآن! (ترفع يديها المتشنجتين في الهواء دلالة الغضب وهي تستدير فجأة وبمهل نحو مكان وقوف إغناسيو دون أن تدرك بعد أنها فعلا تشعر بوجوده).

**خوانا** : إنه لا يخطط لشيء. إنه يعاني... ونحن لا نعرف طريقة لشفائه من آلامه. إنه في جوهره يستحق الشفقة. (تستدير إليسا نحو خوانا عند سماع هذه الكلمات. لم تتمكن من الحدس بوجود إغناسيو).

**إليسا** : (وهي تتقدم نحو خوانا). أراك تشفقين عليه كثيرا. إنه أناني. فليعانِ وحيدا وليترك الآخرين بسلام!

**خوانا** : (مبتسمة). تعالي، اجلسي، ولا تغضبي. (تصل إليسا إليها). ترمين إغناسيو بالأنانية. ماذا عساه

يفعــل إن كان يعاني؟ نحن أيضا مدعوون لأن نكون أقــل أنانية. يجب علينا التعامل برحمة مع من هم فــي حالة ضعف، وأن نخفّــف عنهم معاناتهم بكل عطف ولطف... (لحظة صمت).

**إليسا** : (تهيج فجأة وتمسك بقوة ذراعي خوانا). لا. لا يا خوانا! لا!

**خوانا** : (فزعة). ما بك؟

**إليسا** : لا تفعلي ذلك، عزيزتي خوانا! لا تفعلي!

**خوانا** : لكن أفصحي! ماذا تريدين قوله؟

**إليسا** : لا أريدك أن تشفقي على إغناسيو!

**خوانا** : (منزعجة). ما هذا الذي تقولينه؟

**إليسا** : عديني بأن تكوني قوية! أنا أسألك بحب كارلوس بــأن تعديني بذلــك! (تهزها بقوة مــن ذراعيها). عديني بذلك، خوانا!

**خوانا** : (ببــرودة). كفّــي عن قول الحماقــات، أنا أحب كارلوس ولن يحصل أي شيء. لا أعلم فيما تفكرين أنه سيحدث.

**إليسا** : في كل شيء! قد يحدث كل شيء! هذا الرجل قد أخذ منّي ميغيلين وأنــت في خطر! عديني بأن لا يحصل ذلك! من أجل كارلوس، عديني بذلك!

**خوانا** : (يتلبســها الغضــب). اصمتي حالا يا إليســا! لا أســمح لــك بذلــك... ! (تنفصل عنهــا بقوة. صمت).

**إليسا** : (تبتعــد قليلا). لا تســمحين لــي وأنا صديقتك المفضلــة! لقد وقعت أنت أيضا في شــراك ذلك الرجــل! إنك أيضا فريســة من بين فرائســه ولا تدرين ذلك!

**خوانا** : إليسا!

**إليسا** : إني أشــفق عليك! وأشعر بالشفقة على كارلوس أيضا. لأنه سيتعذب هو أيضا كما أتعذب أنا!

**خوانا** : (تصرخ) إليسا! تصمتين أو ... (تذهب صوبها).

**إليسا** : دعينــي! اتركينــي وحدي مع همومــي! لن يفيد القتــال. إنه أقــوى منّا جميعا! لقــد انتزع منّا كل شيء! كل شــيء! بما في ذلك صداقاتنا! لم أعد أعتبرك صديقــة...! لم أعد أعتبرك صديقة ...!

(تخرج مسرعة من باب الشرفة وهي تبكي. تتردد خوانا فـــي اللحاق بها وهـــي مضطربة ومغمومة. ينهض إغناسيو).

**إغناسيو** : خوانا. (تكتم خوانا صرخة وتستدير نحوه. يصل إليها). كنت هنا وقد ســـمعت كل شيء. يا لها من مسكينة إليسا! أنا لا أحمل لها أي ضغينة.

**خوانا** : (تحاول أن تداري صدمتها). لماذا لم تعلمنا أنك هنا؟

**إغناسيو** : لم أندم على ذلك. خوانا! (يمســـكها من يدها). إنك جعلتني أعيش أول لحظات ســـعادتي، شكرا! لو تعلمين روعة الإحســـاس بوجـــود أحد يفهمك! لكم كنت صائبة في ما قلته عنّي! إنك محقة. إني أعاني كثيرا. وهذه المعاناة تحملني...

**خوانا** : إغناســـيو... لماذا لا تحاول ضبط نفسك؟ أعلم أنك لا تريد الشر لأحد، لكنك تسبّبه.

**إغناسيو** : لا أستطيع تمالك نفسي. لا أستطيع ترك الناس يعيشون في الكذب عندما يسألونني... إن الخداع الذي يعيشون فيه يرعبني!

**خوانا** : إنها الحرب ما حملت إلينا ليس السلم!

**إغناسيو** : قلت لك ذلك... (مشيرا بيده). وفي هذا المكان بالضبـط. وها أنا أنتصـر... تذكّـري أنك كنت تريدين ذلك. (لحظة صمت).

**خوانا** : أما إن طلبت منك الآن، لصالحك أنت، ولصالحي أنا ولصالح الجميع بأن ترحل؟

**إغناسيو** : (بلطف). أحقا تريدين ذلك؟

**خوانا** : (بصوت خفيض). أرجوك أن ترحل.

**إغناسيو** : لا، أنـت لا تريدين ذلك. ما تريدينه هو التخفيف مـن آلامي بلطفـك وحنانك... حنانـك هذا لي! ستمنحينه لي! أنت من فهمني ودافع عنّي! أحبك، خوانا!

**خوانا** : اصمت!

**إغناسيو** : أحبك أنـت دون الأخريات. أنت من أحببت منذ اليـوم الأول! أحبك لطيبوبتك، لسـحرك ولعذوبة صوتك ونعومة يديك... (انتقـال). أحبك وأحتاج إليك. إنك تعلمين ذلك.

**خوانا** : أرجوك لا يمكنك التحدث هكذا! هل نسيت أن كارلوس...

**إغناسيو** : (ساخرا) كارلوس؟ كارلوس أحمق قد يتركك من أجل الذهاب مع مبصرة. يظن أن عالمنا وعالمهم سيان... ويرغب في الحصول على سيدة بيبيتا أخرى. سيدة بيبيتا أخرى بشعة تبصر بدلا منه... يحلم بامرأة كاملة، وينظر إليك كأنك أقل الضرر. (مغيّرا نبرة صوته). لكنّني أنا لا أريد امرأة. بل أريد عمياء! عمياء تنتمي إلى عالمي، عالم العميان، عمياء تفهمني!... إنها أنت. لأنك أنت فقط من يستطيع أن يحب أعمى حقيقيا، وليس موهوما يظن نفسه سويا! إنه أنا من تحبين! ليست لك الجرأة لقول ذلك، ولا تودّين أن أعترف لك به... فقد تكونين استثناء. لا تجرؤين على قول «أحبك». لكني سأقولها بدلا منك. أجل، إنك تحبينني؛ إنك الآن بالضبط تبدئين في اكتشاف ذلك. نبرة صوتك تشي بذلك. تحبينني بقلقي وحزني، لمشاركتي عذابي، لمواجهة الحقيقة وإعطاء الظهر لكل الأكاذيب التي تحاول إخفاء بؤسنا! لأنك قوية

وقادرة علـــى فعل ذلك، ولأنك طيبة! (يحاول أن يعانقها).

**خوانا** : (مختنقـــة). لا! يدخـــل من اليمين الســـيد بابلو وكارلوس. يتوقفان مندهشين).

**السيد بابلو** : ماذا يحدث هنا؟ (ينفك إغناسيو عن خوانا بشدة ويبقى ممسكا ذراعيها، يلزمان الصمت والذعر قد لبسهما).

**كارلوس** : لقد ســـمعنا صوتكما... (تفتـــل خوانا أصابعها خوفا).

**السيد بابلو** : (مرحـــا). أي افتقـــار للـــذوق هـــذا! مـــن هذان العصفـــوران الصغيـــران اللـــذان يغـــرّدان هناك؟ علـــيّ أن أوبخكما! (لا جواب. شـــحب وجه خوانا وكادت تتكلم. لكن إغناســـيو ضغط على ذراعيها). ألا تجيبـــان؟ (يرفـــع إغناســـيو عصاه مـــن على الأرض ويقود خوانا مســـرعا نحـــو الباب المؤدي إلى الشـــرفة. يخطو خطوات واثقة؛ يبدو مأخوذا بشـــعور جديد من الثقة والانتصـــار. يظهر خلف الزجاج وهـــو يجر خوانـــا وراءه كأنـــه يختطفها،

تطأطئ خوانا رأسها وتهزه محاولة مجاراة سرعة إغناســيو، إنها متضايقة ومهمومة وخائفة. يقول السيد بابلو هازلا:) لقد ذهبا! أحرجهما ذلك.

**كارلوس** : (بجدية). أجل.

ستار

# الفصل الثالث

بهـــو صغير في إقامة المركز التربوي. تتشـــكل الخلفيـــة من نافذة كبيرة ذات ستارة مزاحة إلى الجانبين. وراء النافذة يظهر ليل ذو نجوم ساطعة. تشـــكل النافذة الكبيرة مع الحائط الأيمن إفريزا، تتدلى منه ستارة تخفي بابا. فوق الإفريز جهاز راديو فاخر. يوجد في مكان ملائم خزانة بها لعب مختلفة وكتب للعميان وإناء به ورود. في أمامية الخشبة يسارا يوجد باب ذو ســـتارة. ويمينا توجد مائدة ذات قائمة واحدة للعب الشـــطرنج وحولها كرســـيان. لعبة الشـــطرنج معدة للعب، تحت النافذة الكبيرة إلى الوســـط توجـــد أريكة. بالقـــرب من الراديو توجـــد مائدة عليهـــا مصباح محمول منطفئ. كراسي، موائد. الإنارة المركزية مضاءة.

(تجلس إليسا على الأريكة وهي تبكي بمرارة. يقعد كارلوس إلى الشطرنج ويلعب مع نفســـه محاولا أن يزيل الهم الذي يقضه. يرتدي سترة أزرارها مفتوحة وربطة عنق غير مضبوطة).

**إليسا** : إننا تعيســـان جدا، كارلوس! تعيسان جدا! لماذا نعشـــق؟ أريد جوابا عن ذلك. (لحظة صمت). لقد فهمت الآن أنه لم يكن يحبني.

**كارلوس** : لقد أحبك وما زال يحبك. إغناســـيو هو السبب فـــي كل ما يجـــري. ميغيلين مـــازال فتى، عمره لا يتجاوز السبع عشرة سنة و...

**إليسا** : صحيح؟ لقد حاولت كثيرا إقناع نفسي بأن ميغيلين سيعود إليّ... لكني أشك في ذلك كارلوس، ينتابني شك رهيب من ذلك! (تعود للبكاء قليلا ثم تبدأ في الهـدوء.) كم أنا أنانية! أنت أيضا تتألّم ولا أتحرج في أن أشاركك حزني. (تنهض وتتوجه صوبه).

**كارلوس** : أنا لا أتألّم.

**إليسا** : بلـى، إنك تتألّـم، تتألّم بسـبب خوانا. (يتحرك كارلوس في جلسته). بسبب تلك البهرجة!

**كارلوس** : ليت الأمر يتعلق بالبهرجة!

**إليسا** : وتقول إنك لا تعاني؟ (يخبئ كارلوس رأسـه بين راحتيه). يا لك من مسـكين! لقد دمّرنا إغناسيو نحن الاثنين.

**كارلوس** : أنا لم يدمّرني أحد.

**إليسا** : لا تحاول إخفاء ذلك عني... أفهم جيدا معاناتك، لأنها شـبيهة بالتـي أكابدها. هجـران خوانا لك يضنيـك، والأدهى مـن ذلك، وهو مـا يؤرقني أنا أيضا، هو عدم وجود تفسـير شـاف ومنطقي لما يحدث... إن هذا مرعب! يبدو كما أن شيئا لم يقع،

ونحن الاثنان نعلم من قلبنا أن كل شيء قد ضاع.

**كارلوس** : (بحدة). لم يضع شـــيء! لا يمكـــن أن يضيع أي شيء! أرفض أن أتألّم.

**إليسا** : كلامك يخيفني!

**كارلوس** : أجـــل، أنا أتألّـــم. تقولين إني تعيـــس؟ هذا غير صحيـــح ! أنـــي أتألّم بســـبب خوانا؟ لا أســـتطيع أن أتألّم بســـببها لأنها لم تكـــفّ لحظة عن حبّي. أفهمـــت؟ لم تكفّ عن حبهـــا لي ! هذا ما يجب أن يكون، وهذا هو الواقع.

**إليسا** : (مشـــفقة). يا لك من مســـكين!... كم هو عميق حزنك... ولا أســـمعك تبكي! ابـــك، ابك كما أفعل أنا! فرّج عن قلبك!

**كارلوس** : (صارمـــا). لا أريد أن أبكي. ابكي أنت إن شـــئت ذلـــك! لكنك مخطئـــة إن فعلت ذلك. بـــل إنك لا تملكين ســـببا يدفعك للبكاء، لســـت مجبرة عليه! ميغيلين يحبك، وسيعود إليك. وخوانا لم تكفّ عن حبي أبدا.

**إليسا** : لا أفهم عدم قدرتك على الاعتراف بما يجري... أنـــا أيضا كنت أريد- ومازلت أحاول ذلك أحيانا!-

أن أوهم نفسي بعكس ما يحدث، لكن...

**كارلوس** : (وقد بلغ منه اليأس مبلغه). لكن، ألا تفهمين أنه لا يمكننا ترك إغناســيو يهزمنا؟ إن تألّمنا بسببه فهذا يعني أنه انتصر علينا! ولا يجب أن نسمح له بتحقيق ذلك، لا يجب أن نمنحه أي انتصار!

**إليسا** : (محتارة) لكننا على الأقل نستطيع أن نشارك بعضنا البعض آلامنا وحزننا عندما نكون بمفردنا...

**كارلوس** : لا يجــب أن نفعل ذلك ولو كنّا بمفردنا. (صمت. يطأطئ مجددا رأسه شيئا فشيئا. تدخل خوانا من الباب عند الإفريز).

**خوانا** : إغناســيو؟ (تفتح إليســا فمها. يضغط كارلوس على ذراعها لتســكت). إنه ليس هنــا أيضا. أين أنت يا مسكين... (تتقدم إلى الأمام يسارا وتخرج من الباب).

**إليسا** : (متأثرة). كارلوس !

**كارلوس** : اصمتي.

**إليسا** : آه! ماذا أصابك؟ إنك لا تبدو عاديا... لم أستطع تحمل ذلك.

**كارلوس** : (بمـــا يشـــبه الابتســـام). لم يحدث أي شـــيء يا امرأة،... إنها واحدة أخرى... واحدة أخرى تبحث عن إغناســـيو المســـكين وتناديه بين الغرف... لا شيء.

**إليسا** : لا أفهمـــك. لا أعلـــم هـــل يئســـت أم أصابـــك الجنون.

**كارلوس** : لا هذا ولا ذاك. لم أكن قط في حالة من الرشـــد مثل التي أنا فيها الآن. (يضرب براحة يده يد إليسا بلطف). تشجعي إليســـا! كل شيء سيكون على ما يرام. (يدخل من باب الإفريز إغناســـيو وميغيلين وهما يتجاذبـــان أطراف الحديـــث بحيوية، تجمع إليسا يديها إلى صدرها عند سماعهما).

**إغناسيو** : النســـاء لسن كلهن ســـواء، إلا أنه من المؤكد أن العمياوات لسن متفهمات كما يجب... ما عدا بعض الاستثناءات. تعرفت مرة على فتاة مبصرة...

**ميغيل** : (يقاطعه مندفعا). إن الفتيات المبصرات لطيفات جدا. أعرف واحدة اســـمها كارمن، كانت جارة لي، لم أكن أعيرها اهتماما، لكنها كانت تميل إليّ...

**إغناسيو** : هل تعلم إن كانت قبيحة؟

**ميغيل** : (مرتبكا). لا... لم أتمكن من معرفة ذلك.

**كارلوس** : مساء الخير يا أصدقاء. لم لا تجلسان؟

**ميغيل** : (مضطربا). كارلوس! كم أتوق لمحادثتك يا رجل! كنت مشـــغولا لدرجة أني لم أجد فرصة للحديث معك. ولا مع إليسا.

**إليسا** : (على مضض). جئت في الوقت المناسب.

**ميغيل** : (غير مســـرور). رائع! أنت هنا يا إليســـا! كيف حالك؟

**إليسا** : (بجفاء). جيدة، شكرا.

**ميغيل** : (مبتذلا). حسنا! يسرني ذلك.

**كارلوس** : (بصوت يريده مســـموعا وواضحـــا). أعتقد أن خوانيتـــا كانـــت تبحث عنك يا إغناســـيو. (تنتاب إليسا صدمة).

**إغناسيو** : (مرتبكا). لا... لا أعلم...

**كارلوس** : أجل. أجل. لقد كانت تبحث عنك.

**إغناسيو** : (يستعيد نبرته). ربما. علينا التحدث أنا وإياها في بعض الأشياء.

**ميغيل** : اسمع يا إغناسيو. أرى أنه باستطاعتك إكمال حديثك عن الفتاة المبصرة التي سبق أن تعرّفت عليها. لا أظن أن إليسا وكارلوس لديهما مانع من ذلك.

**كارلوس** : ليس لدي أي مانع.

**إغناسيو** : مثل هذه المواضيع لا تهم كارلوس وإليسا. لأنها مواضيع مجردة.

**كارلوس** : أظن أن فتاة بشحمها ولحمها ليست أبدا شيئا مجردا.

**إغناسيو** : لكنها فتاة مبصرة، أتريد تجريدا أكثر من هذا بالنسبة لنا؟

**إليسا** : (منتفضة). أظن أن إغناسيو محق: لا أستطيع تحمل مثل هذه المواضيع. بعد إذنكم، سأذهب لأنام.

**كارلوس** : كما تحبين. آسف أني لن أستطيع مرافقتك؛ أرغب في مواصلة الحديث مع إغناسيو. ميغيلين سيرافقك. (يتلقى ميغيلين الدعوة بجفاء).

**إليسا** : (بفظاظة). لا تتعب نفسك. لا شك أن ميغيلين يود مواصلة الحديث معك... ومع إغناسيو.

**ميغيل** : (على مضض). أي حماقات تقولين... سأرافقك بكل سرور.

**إليسا** : كما تشاء. عمتما مساء.

**إغناسيو** : عمت مساء.

**كارلوس** : إلى اللقاء، إليسا. (تذهب إليسا يسارا. يتبعها ميغيلين كأنه أسير منقاد، يجلس كارلوس وإغناسيو على كرسيين يسارا وقبل أن يشرعا في الكلام تدخل السيدة بيبيتا من باب الإفريز).

**السيدة بيبيتا** : مساء الخير! ألم تذهبا للنوم؟ (يقفان عند سماعها).

**كارلوس** : الوقت مازال مبكرا.

**السيدة بيبيتا** : اجلسا من فضلكما. أما أنت يا صاحب العصا، ألا تقول شيئا؟

**إغناسيو** : مساء الخير.

**السيدة بيبيتا** : ابتسم يا رجل! كل يوم أراك فيه أجدك حزينا

وذابلا. حســنا، أكملا حديثكما، سأقوم بجولة في غرف النوم. إلى اللقاء.

**كارلوس** : وداعا، ســيدة بيبيتا. (تذهب الســيدة بيبيتا من الباب الأيسر. صمت).

**إغناسيو** : أعتقــد أنك ما دمت تريد الجلوس للحديث معي فإنه ليس للحديث عن الفتاة المبصرة.

**كارلوس** : لقد أصبت.

**إغناسيو** : تحدثت معــي مرارا وتكرارا عن نفس الموضوع. هل هذه المرة أيضا سنناقش الموضوع نفسه؟

**كارلوس** : أجل.

**إغناسيو** : مهــلا. أيمكنــك إعلامي كم عدد المــرات التي سنضطر فيها إلى مناقشة الأمر نفسه؟

**كارلوس** : أظنها ســتكون قليلة... ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة.

**إغناسيو** : هذا جيد. يمكنك أن تبدأ متى شئت.

**كارلوس** : إغناســيو... يوم جئت إلى هنــا كنت قد عزمت على الرحيل بعد مكوثــك لوقت قصير. (بمرارة). أبلغتنــي خوانا بذلــك يوم كانت تبــوح لي بكل ما

يخالجهـــا . كانت وقتئذ فكرة رائعة منك، وأظن أنه قد حان الوقت المناسب لتنفذها . فارحل!

**إغناسيو** : يبدو كأنه أمر...

**كارلوس** : إن شئت شرحت لك دواعيه.

**إغناسيو** : هل أرسلك السيد بابلو؟ قل الحقيقة.

**كارلوس** : لا . لكن يجب عليك الذهاب من هنا .

**إغناسيو** : لماذا؟

**كارلوس** : عليـــك الرحيل لأن تأثيرك قـــوي جدا على هذه الدار، وتأثيرك هذا تأثير مدمّر. إن لم تذهب فإن هذه الدار ستخرب. لذا عليك الرحيل!

**إغناسيو** : كلام فارغ. لا أفكر في الذهاب، هذا شيء مفروغ منـــه . رغم أني أعلم أن بينكم من يرغب في ذلك. وأولهم السيد بابلو. لكنه لا يجرؤ أن يقول لي شيئا، لأنه لا يوجد مسوغ لذلك. ألا يكون هو من أرسلك إليّ... وتطلب مني ذلك نيابة عنه؟

**كارلوس** : إنهـــا المصلحة العليا لهذه الدار ما دفعني لطلب ذلك منك.

**إغناسيو** : كلام فـــارغ مجددا، يا لك مـــن محترف في قول

التفاهات! اسمع جيدا. أنا متأكد أن أغلبية الرفاق يودون بقائي. لهذا لن أذهب.

**كارلوس** : وفيم يهمك الرفاق أنت؟! (لحظة صمت).

**إغناسيو** : إن الحاجـز الكبير الـذي يفصل بيني وبينك هو أنـك لا تفهمني. (بحرقـة). إن الرفاق، بمن فيهم أنت، يهموننـي أكثر مما تتصـور! عماكم يؤلمني كجرح غائر في جسـدي؛ أتألّم بسببه أنا مكانكم أنتم جميعا! (بحدة). اسمع! هل انتبهت وأنت تمر في الشرفة أن هذه الليلة ليلة باردة وجافة؟ ألا تعلم مـاذا يعني ذلك؟ إنك لا تعلم معناه، هذا مؤكد. إن ذلك يعني أن النجوم الآن تسـطع بكل بهاء وروعة، وأن المبصرين يسـتمتعون بمشاهدة ذلك المنظر العجيب. تلـك العوالم البعيدة جـدا توجد هناك (يقترب من النافذة الكبيرة ويلمس زجاجها). خلف هـذا الزجاج، علـى مرمى بصرنا...، لـو أننا كنا نبصر! (لحظـة صمت). هذا لا يهمك أنت، لأنك بائس تعيـس. أما أنا فإني أفتقدها، وددت لو أني أشـاهدها؛ إني أشـعر بنورها البهي يغمر وجهي، ويبدو لي كما لو أني أشاهدها حقا! (يلتفت منتشيا إلـى النافذة، وبحركة غير إراديـة يلتفت كارلوس

قليلا نحو النافذة محاولا تخيل مشـــهد النجوم). أعلم جيـــدا أني لو كنـــت أنعم بالبصـــر، لقتلتني الحســـرة لعدم قدرتي على بلوغ تلك النجوم، لكني ســـأكون على الأقل أشـــاهدها! لا أحد منا يراها، كارلوس. وتظن أن مثل هذه الانشغالات سيئة؟ أنت تعلم جيدا أنها ليســـت كذلك. يستحيل أن لا تكون مثل هذه الانشـــغالات تراودك أنـــت أيضا، وإن لم تكن تراودك بالقوة نفسها.

**كارلوس** : (بقوة). لا! إنها لا تراودني.

**إغناسيو** : لا تراودك؟ إن مصدر تعاســـتك هو عدم شعورك بالأمل الذي جئتكم به.

**كارلوس** : عن أي أمل تتحدث؟

**إغناسيو** : الأمل في بلوغ النور.

**كارلوس** : النور؟

**إغناسيو** : أجـــل، النور! لأنهم يقولون إن حالتنا لا علاج لها؛ ولكـــن ما أدرانا بهذا؟ لا أحـــد يعلم ماذا يخبئه لنا هذا العالم؛ بدءا من الاكتشـــاف العلمي... وصولا إلى حدوث معجزة ما.

**كارلوس** : (محتقرا). أف!

**إغناسيو** : هل رأيت؟ إنك تصد الإيمان الذي جئتك به؟

**كارلوس** : كفى! نور، إبصار... كفى كلاما فارغا. إننا عميان! هل تفهم ذلك؟

**إغناسيو** : من حسن الحظ أنك تعترف بذلك...ظننت أننا كنا مجرد... مكفوفين.

**كارلوس** : أجل، عميان! ليكن.

**إغناسيو** : عميان عن ماذا؟

**كارلوس** : (مترددا). عن ماذا؟...

**إغناسيو** : عن النور! عن شيء تتوق إلى إدراكه... وإن كنت تنكر ذلك. (بنبرة مختلفة). اسمع، إني أعلم أشياء كثيرة. أعلم أن المبصرين يحاولون أحيانا تقدير مدى بؤسنا، ولذلك يغمضون أعينهم. (تبدأ درجة الإنارة بالانخفاض في الخشبة). فيعروهم الرعب من خطورة الوضع. قد يُجن أحدهم، ظانا نفسه أعمى...، والحقيقة أنهم فقط لم يفتحوا نافذة غرفته في الوقت المحدد. (تغرق الخشبة في الظلمة. وحدها النجوم تلمع خلف النافذة). ففي هذا الرعب

وهــذا الجنون نــرزح نحــن!... دون أن نعرف ذلك! (يأخذ لمعان النجوم في الانطفاء). ولهذا أشعر بأنا برعب مضاعف. (تغشى الآن الخشبة والقاعة ظلمة مطلقة). أصواتنا تتقاطع... في هذه الظلمة.

**كارلوس** : (بنبــرة يتخللها شــيء من الخيفــة والتوجس). إغناسيو!

**إغناسيو** : نعم. إن الظلمة كلمة مرعبة لشــدة غموضها. إنك بدأت تفهم...، بدأت تفهم. (لحظة صمت). لقــد علمت كيف يشــعر المبصرون بالســعادة عندما يطلــع نور الصباح. (تأخــذ النجوم في السطوع مرة أخرى، في الوقت الذي ترتفع فيه درجة الإنارة مجددا في الخشبة). يشرعون في التعرف على الأشــياء، مســتمتعين بأشكالها.. وبألوانهــا. تغمرهم الســعادة بنعمــة النور حد الانتشــاء. إن النور بالنســبة لهم هبة جليلة من الله! هبــة عظيمة، جــدوا في ابتــكار طريقة لإصداره ليلا، أما نحن فكل شيء عندنا سواء! النور قد يعود؛ يســتطيع أن ينتــزع من الظلمة الأشكال والألوان؛ يستطيع منح الأشياء وجودها المطلق. (تعود إنارة الخشبة وسطوع النجوم إلى

حالتهما الأولـــى). بما في ذلك النجوم البعيدة! أما نحن، فالأمر سواء! نحن لا نرى شيئا.

**كارلوس** : (يهز رأســـه بقـــوة محاولا التخلص مـــن التأثير غير الإرادي الذي تفرضه عليه كلمات إغناســـيو). اصمت! أفهمك، أجل أفهمك؛ لكني لا أستطيع أن أعذرك. (بصوت ينم عن اكتشاف مفاجئ). إنك... مخلّـــص يعاني اضطرابا! سأشـــرح لك ما تعانيه: لديك غريزة المـــوت. تقول بأنك تريد الإبصار... ما تريده هو الموت!

**إغناسيو** : ربمـــا... لعل الأمر كذلك. فمـــن يدري، قد يكون الموت هو السبيل الوحيد لبلوغ الإبصار الأبدي...

**كارلوس** : أو الظلمة الأبدية. لكن الأمرين ســـيان. ما تبحث عنه هـــو الموت، وأنت لا تعلم ذلـــك. تريد الموت وتدفـــع الآخرين إليـــه. لهذا عليـــك أن تغادر. أما أنـــا فأدافع عن الحياة! حياتنا جميعا! حياتنا التي تهدّدها! ســـأدافع عنها لأني أريد أن أعيشـــها عن آخرها، أن أؤديها؛ بالرغـــم من أنها قد تكون غير هادئة وســـعيدة. بالرغم من أنها قد تكون قاســـية ومريـــرة، لكن الحياة لها مذاق ما، تطالبنا بشـــيء ما، تنادينا! (لحظة صمت). كافحنا هنا جميعا من

أجل الحياة... حتى وقت قدومك. فارحل عنا!

**إغناسيو** : إنك مدافع جيد عن الحياة. لم أستغرب لذلك. فإنك تنبض بالحياة، إنك تتحدث هكذا وتطلب مني الرحيل لسبب حيوي جدا: خوانا! (تظهر السيدة بيبيتا يسارا وتتأملهما).

**كارلوس** : (يرفع قبضتيه مهددا). إغناسيو!

**السيدة بيبيتا** : (مسرعة). هل مازلتما هنا؟ يبدو أن الموضوع الذي تناقشانه مهم جدا. (يخفض كارلوس يديه). تبدو كما لو أنك تصور مشهدا، عزيزي كارلوس.

**كارلوس** : (متمالكا نفسه). تقريبا، تقريبا يا سيدة بيبيتا.

**السيدة بيبيتا** : (تمر). اذهبا للنوم فهذا سيكون أفضل. سنأتي أنا والسيد بابلو بعد قليل لنتم بعض الأعمال. ليلة سعيدة.

**كارلوس وإغناسيو** : ليلة سعيدة. (تلتفت إليهما السيدة بيبيتا وتنظر إليهما نظرة ارتياب من أمام باب الإفريز ثم تنصرف).

**كارلوس** : (بهدوء). لقد نطقت باسم خوانا. ليس لخوانا أي علاقة بهذا. لندعها وشأنها.

**إغناسيو** : مـــاذا! لقد ذكرتها مرتيـــن، والآن تقول لي إنه لا علاقة لها بالموضوع ! لـــم أكن أعرف أنك منافق إلى هـــذه الدرجة. خوانا هي ســـبب غيظك هذا، صديقي العزيز...

**كارلوس** : لست مغتاظا.

**إغناسيو** : إنها سبب تضايقك إذن. ذكر خوانا هو ما جعلك تهديني نشيد الحياة هذا.

**كارلوس** : أعيدهـــا مـــرة أخرى، دع خوانا بســـلام! قبل أن يصيبها... سمّك، نبّهتك إلى هذا سابقا.

**إغناسيو** : إنك تكذب. آنذاك لم تكن خوانا لك بشكل كامل، هذا ما ألمحتَ إليه بنفســـك. أصغ إليّ إذن: أحب خوانـــا! هذا مؤكد. أنا أيضا لـــدي أهداف حيوية أدافع عنها. ومن أجل خوانا ســـأبقى! كما أنه من أجلهـــا أيضا تطلـــب مني أنت أن أغـــادر. (لحظة صمت). سأمنحك مؤقتا لحظة من السعادة: خوانا ليست بعد لي بشكل كامل.

**كارلوس** : (بهدوء). كل الأشـــخاص مـــن طينتك يضمرون الشـــيء نفسه: نزعة شـــهوانية دنيئة وكريهة. هذه هي علة تصرفك. لن أتحدّث معك مجددا في هذا

الموضوع. سترحل شئت أم أبيت.

**إغناسيو** : (يضحك). كارلوس، لن تستطيع إجباري على شيء. لن أذهب مهما فعلت. وبالرغم من أنني فكرت عدة مرات في الانتحار، فإنني الآن لم أعد أفكر في ذلك.

**كارلوس** : لأنك تنتظر دون شك أن يسبقك إلى ذلك أحد الفتيان الذين تمكّنت من قيادتهم إلى اليأس، وبذلك يصير لك نموذجا يُحتذى.

**إغناسيو** : (ضجرا). يكفي. أرجو منك المعذرة إن بالغت في التهكّم والسخرية. لم أشأ ذلك، لكنك أمعنت في استفزازي. آسف، أما الآن فعليّ الذهاب، الذهاب إلى الساحة طبعا. الجو رائع هذه الليلة وأريد أن أقوم بشيء من المجهود كي أستطيع أن أنام. (بجدية). ستسطع النجوم الرائعة بنورها من أجلي، رغم أني لا أراها. (يتجه صوب باب الإفريز). ألا تريد مرافقتي؟

**كارلوس** : لا.

**إغناسيو** : وداعا.

**كارلوس** : وداعا. (يخرج إغناسيو. يهوي كارلوس ليجلس

على أحد الكراسي حول مائدة الشطرنج ويبدأ في تحريك بعض القطع وهو شارد الذهن. يُحدث نفسه بغيض لا يكبحه). لا. لن أرافقك! لن أرافقك إلى جحيمك أبدا. فليرافقك من شاء ذلك! (بعد لحظات، يدخل من باب الإفريز السيد بابلو والسيدة بيبيتا. تحمل السيدة بيبيتا محفظة من الجلد).

**السيدة بيبيتا** : مازلت هنا؟

**كارلوس** : (يرفع رأسه). أجل، سيدة بيبيتا. لا أشعر بالنوم.

**السيد بابلو** : (ترافقه السيدة بيبيتا إلى الأريكة). مساء الخير، كارلوس.

**كارلوس** : مساء الخير، سيد بابلو.

**السيدة بيبيتا** : (بفضول). هل ذهب إغناسيو لينام؟

**كارلوس** : أجل، أظن ذلك.

**السيد بابلو** : (بصوت منخفض). أنا مسرور «أن» لأن وجدتك هنا، كارلوس. كنت أرغب في التحدث معك بخصوص إغناسيو. ناوليني سيجارة لو تكرمت،

بيبيتا. (تخرج السيدة بيبيتا من المحفظة علبة سجائر وتسحب منها واحدة). أجل كارلوس، أعتقد أن الأمر لا يتعلق بلعب صبيان. (للسيدة بيبيتا التي وضعت له السيجارة بين شفتيه وأشعلتها). شكرا. (تجلس السيدة بيبيتا إلى المائدة، تخرج أوراقا من المحفظة وتشرع في تسويدها بقلم حبري). إن الحالة التي وصل إليها المركز خطيرة جدا. هل تعتقد أنت أن رجلا واحدا باستطاعته أن يفسد أخلاق مائة من الرفاق؟ أنا لا أجد تفسيرا لذلك.

**السيدة بيبيتا** : هناك شيء آخر لا تعرفه...كثير من الطلبة أصبحوا لا يعتنون بزيّهم وأناقتهم.

**السيد بابلو** : هكذا إذن؟

**السيدة بيبيتا** : لا يرسلون ملابسهم لتكوى... أو يستغنون عن ارتداء ربطة العنق، تماما كما يفعل إغناسيو. (لحظة صمت. يتحسّس كارلوس بشكل تلقائي ربطة عنقه).

**السيد بابلو** : أعتقد أنه لا يكفّ عن محادثتهم طوال اليوم. حتى لو فعل ذلك فقصر المدة التي قضاها هنا لم تكن لتسعفه لفعل كل هذا. ما رأيك كارلوس؟ (صمت).

كارلوس؟ (تنظر السيدة بيبيتا إلى كارلوس).

**كارلوس** : المعذرة. ماذا قلت...؟

**السيد بابلو** : ســـألتك إن كان هناك ما قد يجعل إغناسيو يكفّ عن تيئيس كل هؤلاء المكفوفين البعيدين عنه بعدا سحيقا. ما أدراهم هم بالنور؟

**كارلوس** : (بصوت عميق). لعل جهلهم بالنور هو ما يدفعهم إلى الانشغال به.

**السيد بابلو** : (يبتسم). هذا موضوع دقيق يا بني. (ينهض).

**كارلوس** : لكنه حقيقة. رفاقي التعساء يعانون من الافتتان بكل شيء عجيب وغامض. إنه شيء مؤسف! علاوة على ذلك، فإن إغناسيو ليس وحيدا. إنه رمى ببذرة أعطت براعم، وهو الآن لديه مســـاعدون لا يعون ما يفعلون (لحظة صمت. بحزن.) وأول مساعديه الفتيات.

**السيدة بيبيتا** : (برفــق). أعتقد أن تلك البراعم لا أهمية لها. لو رحل إغناسيو، مثلا، كان سيحمل معه القوة المعنوية التي قد تجعلهم يستمرون في عملهم السيئ.

**السيد بابلو** : إن رحل إغناسيو سيُحل كل شيء. بإمكاننا طرده،

لكن هذا... سيكون وبالا على سمعة المركز، أليس بإمكانكَ، والحالة هذه، أن توحي إليه بشكل شخصي، برفق ولطف بكل تأكيد، مدى ضرورة رحيله؟ (صمت). كارلوس!

**كارلوس** : عفوا. كنت شارد الذهن. لم أسمعك جيدا...

**السيدة بيبيتا** : تبدو غريب الأطوار هذه الليلة، كارلوس. كان السيد بابلو يقول لك هل بإمكانك أن توحي إلى إغناسيو بأن يغادر المركز.

**السيد بابلو** : إلا إذا كانت لديك فكرة أخرى أفضل... (لحظة صمت).

**كارلوس** : لقد سبق لي وأن حدثته في هذا الأمر.

**السيد بابلو** : حقا؟ وماذا كان رده؟

**كارلوس** : لا شيء. قال بأنه لن يذهب.

**السيد بابلو** : حدثته في هذا بود، وبكل ما يستدعيه الموقف من كياسة...؟

**كارلوس** : حدثته بكل ود ولياقة. لا تقلق من هذا الجانب.

**السيد بابلو** : ولماذا رفض الذهاب؟ (صمت. تنظر السيدة

بيبيتا إلى كارلوس بفضول).

**كارلوس** : لا أعلم.

**السيد بابلو** : في كل الحالات عليه أن يرحل!

**كارلوس** : أجل يجب أن يرحل.

**السيد بابلو** : (كأن همـــا ألـــمّ به). يجب أن يذهـــب. إنه العدو الأكثر إرباكا الذي شـــهده عملنا إلى حد الآن. إنه مســـتعص ويصعب ثنيه. (مندفعـــا). كارلوس، هل تفكر في حل ما؟ إني أثق كثيرا في ذكائك.

**السيدة بيبيتا** : حســـنا، سنتدارس هذا بروية في ما بعد. عليكما الآن أن تخلدا للنوم، الوقت متأخر جدا.

**السيد بابلو** : أجـــل، هذا أفضل. لن أســـتطيع النوم هذه الليلة أيضا. هل ستأتين، بيبيتا؟

**السيدة بيبيتا** : ليس بعد. علي إنهاء تحرير بعض الأوراق.

**السيد بابلو** : عمتما مســـاء إذن. لا تنـــس موضوعنا، كارلوس. (كارلوس لا يجيب).

**السيدة بيبيتا** : وداعا. نوما هنيئا. (يخرج السيد بابلو من الباب الأيسر. تنهض السيدة بيبيتا وتقترب من كارلوس، توجه إليه الكلام بعطفها المعتاد تجاهه). ألن تنام

هذا اليوم؟

**كارلوس** : (مفزوعا). ماذا؟

**السيدة بيبيتا** : ما بك يا رجل؟

**كارلوس** : (محاولا الابتسام). لا شيء.

**السيدة بيبيتا** : اذهب للنوم. إنك في حاجة لذلك.

**كارلوس** : أجل. لكن رأسي يؤلمني. لا أشعر بالنعاس.

**السيدة بيبيتا** : كما تشاء، بني. (تشعل المصباح المحمول. بعد ذلك تطفئ النور المركزي. تعود إلى الجلوس وتشرع في مراجعة ما كتبته من أوراق. تكتب. تكف فجأة عن الكتابة وتنظر إلى كارلوس الذي يهم بالنهوض). هل قلت لإغناسيو بأن يرحل عندما تركتكما تتحدثان هنا قبل قليل؟ (لا يجيبها. تظهر على وجهه صرامة خفية. يتقدم بمهل نحو باب الإفريز. تقول السيدة بيبيتا مندهشة): هل أنت ذاهب؟

**كارلوس** : (متحفظا). سأذهب لأشم الهواء لعلي أصفو قليلا. عمت مساء. وداعا. (يخرج من باب الإفريز).

**السيدة بيبيتا** : عمت مساء. سأذهب حالا أنا أيضا. (ترنو

إليه مشـــفقة وهو يخرج، تعود لمتابعة عملها، تمر لحظـــات ويبدأ التعب يتســـلل إليهـــا، فتلقي نظرة على ســـاعتها). إنها الثانية عشرة. (تنهض لتشغل الراديو، تديـــر أحد أزراره فتبدأ موســـيقى عذبة تنبعث منه، إنها مقطوعة «موت آزي» ل «بير جنت (غري)». تبقى السيدة بيبيتا أمام الراديو لحظات تســـتمع للموســـيقى، ترمي الأوراق علـــى المائدة بنظـــرة تقزز وتتجـــه بمهل نحو النافـــذة الكبيرة، تلصـــق جبهتها علـــى الزجاج لتتأمـــل الليل، فجأة تهتزّ فزعة، إنها ترى شيئا يثير فضولها). يا إلهي؟ (تستمر في النظر، تشكل إطارا بكفيها ليساعداها علـــى تصويب النظر أكثر. وبنبرة ملأى بالدهشـــة العارمة تقول): ماذا يفعلان؟ (تتشنج أصابع يديها على زجـــاج النافذة. فجـــأة تتراجع إلـــى الخلف وكأنهـــا تلقّت ضربة على صدرهـــا، تطلق صرخة عميقـــة، تلتفـــت ووجهها منقبـــض بالرعب. تضع يديها على فمها. تنهج. وفي الأخير تجري مسرعة نحو باب الإفريز وتخرج. يُســـمع صوت الموسيقى وحدها للحظات في الخشـــبة. بعد ذلك تأتي من بعيد صرخات ونداءات. صمت. يدخل بسرعة من الباب الأيسر كل من ميغيلين وأندريس).

**أندريس** : ماذا يجري؟

**ميغيل** : (مهــرولا). لا أعلــم. إنهم يطلبــون النجدة في الساحة وينادون بأن يلتحق بهم ثلاثة أو أربعة منا. أعلِــمْ بذلك من في غرفة النــوم يمينا. (يخرجان من باب الإفريز. صمت. تظهر إسبرانسا من جهة اليميــن خائفــة، تتلمس طريقها فــي الهواء. بعد لحظة تدخــل لوليتا من باب الإفريــز وهي أيضا متأثرة جدا. كلاهما بملابس النوم).

**إسبرانسا** : من... من هناك؟

**لوليتا** : (تقتــرب منهما). إسبرانســا! (تعانقان بعضهما البعض والخوف يتملكهما).

**إسبرانسا** : هل سمعت؟

**لوليتا** : أجل.

**إسبرانسا** : ماذا يجري؟

**لوليتا** : لا أعلم!... (تفترقان لتتبينا ما يجري).

**إسبرانسا** : لا تتركيني وحيدة! أنا خائفة.

**لوليتا** : (تعانقها مجددا). لا أسمع شيئا... هذا مرعب.

**إسبرانسا** : (تجثـو علـى ركبتيهـا). ربي، اللهم إنا نسـألك لطفك!

**لوليتا** : إنـك تخيفينـني! انهضـي! (تسـاعدها علـى النهوض).

**إسبرانسا** : أشعر أن شيئا خطيرا قد حدث...

**لوليتا** : اصمتي!

**إسبرانسا** : أشـعر كما لو كنا نرتكب خطأ جسـيما. أشـعر بفراغ... وبوحدة...

**لوليتا** : صوت خطى! (تقـف مواجهة باب الإفريز). هيا لنذهب!

**إسبرنسا** : (تمسـكها من يدها). لا تتركيني وحدي، لوليتا! إني أمتلئ رعبا... نامي في غرفتي هذه الليلة.

**لوليتا** : إنهم يقتربون!

**إسبرنسا** : تعالي إلـى غرفة نومي! إن هذه الوحدة لشـيء مرعب.

**لوليتا** : أجل، هيا بنا... فأنا أشـعر بالبرد... (تسارعان في الخروج من الباب الأيسـر وهما مضطربتان.

صمت. بعد لحظات تُسمع ضجة القادمين، تدخل السيدة بيبيتا من باب الإفريز، تشعل النور المركزي بسرعة، يلحق بها ألبيرتو وأندريس وهما يحملان جثة إغناسيو، يتدلى منها رأسه ويتمايل، يتبعهما ميغيلين وبيدرو وكارلوس، تعلو وجوه الجميع أثر الصدمة والتوتر).

**السيدة بيبيتا** : ضعوه هنا، على الأريكة. بسرعة! أطفئ الراديو من فضلك، ميغيلين. (يطفئ ميغيلين الراديو ويقف بجانبه. تربت السيدة بيبيتا على ذراع أندريس). أندريس، ناد بسرعة على السيد بابلو، أرجوك.

**أندريس** : حالا. (ينصرف من الباب الأيسر).

**السيدة بيبيتا** :(تجثو على ركبتيها وتضع أذنها على قلب إغناسيو). لقد مات! (ترنو إلى كارلوس بعينين جاحظتين وهو لا يبالي. يدخل السيد بابلو مسرعا من باب اليسار بلباس النوم، لقد نسي ارتداء نظارته، يلحق به أندريس).

**السيد بابلو** : ماذا يجري؟ ماذا وقع لإغناسيو؟ هل أنت هنا، بيبيتا؟

**السيدة بيبيتا** : إغناسيو قتل نفسه. إنه هنا، على الأريكة.

**السيد بابلو** : قتــل نفســه؟... لا أفهم! (يتقدم نحــو الأريكة. ينحني. يتحسس). كيف حدث ذلك...؟ وأين؟

**السيدة بيبيتا** : في ســاحة الرياضة. لا أعلم كيف حدث ذلك... وصلت بعد وقوع الحادث.

**السيد بابلو** : ألا يعلــم أحد كيف حدث ذلــك؟ من علم بالأمر أولا؟

**كارلوس** : أنــا. (تصــوب الســيدة بيبيتــا نظراتهــا نحو كارلوس).

**السيد بابلو** : حسن! احك لنا ما جرى، احك يا كارلوس.

**كارلوس** : ليس لدي الكثير لأقوله. كنت قد خرجت لأشــم قليــلا من الهــواء لأن رأســي كان يؤلمني. ظننت أني ســمعت أصواتا عنــد المزحلقــة... اقتربت من مكان صدور الصوت، وعندما وصلت ســمعت خبطة صماء، قوية جدا، عقبتها حركة في الهواء. أحسســت عندها أن الأمر يتعلق بمأساة. اقتربت وبدأت أتحسس الأشياء، أحسست بأن الأمر يتعلق بإغناســيو. ســقط من أعلى برج المزحلقة وكان بجانبه البساط الذي يستعمل للنزول. بعدها طلبت النجدة. جاءت السيدة بيبيتا بعد ذلك، فأخذنا في

طلــب النجدة بقــوة أكثر... فأحضرنــاه إلى هنا. (تقوم السيدة بيبيتا في هذه الأثناء بتغطية الميت بلحاف إحدى الموائد).

**السيد بابلو** : كيف أمكن ذلك؟ لا أفهم..! لا أفهم السبب الذي جعل إغناسيو يصعد في هذه الساعة المتأخرة من الليل إلى برج المزحلقة...

**أندريس** : لعل الأمر يتعلق بانتحار، سيد بابلو.

**ألبيرتو** : ولماذا أحتاج البســاط إذن؟ إغناسيو قتل نفسه عندما حاول التزحلق فــي المزحلقة. هذا واضح جدا. كانت تنقصه الجرأة في كل شيء.

**السيد بابلو** : لكنه لم يكن يميل أبدا إلى مثل هذه الأشــياء... فيــم يهمه التزحلــق في المزحلقــة؟ فقدانه لتلك الجرأة هو ما جعله لا يتدرب معكم على أي رياضة من الرياضات.

**ميغيل** : هل يأذن الســيد بابلو للتلميذ الأصغر ســنا بأن يعطي رأيه في الأمر؟ (يترقب الكل ما ســيأتي به ميغيل). لقد تعرفت جيدا على إغناســيو. (بألم). إن إغناســيو، وبالضبــط لأنه كان يتعذب بســبب شقائه وبؤسه، حاول أن يتجاوز كل ذلك في صمت،

متظاهرا أمامنا بعدم اكتراثه بالألعاب والرياضة. أظن، بل أجـــزم، أنه في هذه الليلـــة كما في ليال أخـــرى، حيث اعتـــاد أن يأتي متأخـــرا إلى غرفة النوم، كان يحاول أن يكتســـب المهارات من دون أن يكون محط ســـخرية أحد. إنكم تعلمون جيدا أنه كان شديد الحساسية...

**السيد بابلو** : (مصدومـــا). بدلا من التـــدرب عندما يُطلب منه ذلك، يتســـبب لنا الآن في مشكل جد معقّد بسبب تفكيـــره الناقص، أتمنى أن يكون هذا درســـا لكم جميعا... (لحظة صمت. ينتاب الطلبة خجل شديد ويديرون وجوههم إلى لا شـــيء). أجل، لا شك في أن هذا هو ما حصل. ما رأيك، بيبيتا؟

**السيدة بيبيتا** : (تنظر باستمرار إلى كارلوس). محتمل جدا.

**السيد بابلو** : وأنت كارلوس؟

**كارلوس** : أظن أن ميغيلين أصاب فيما قال.

**السيد بابلو** : هذا من حســـن الحظ. فرضية الانتحار ســـيئة جدا. لم تكن لتتوافق مع أخلاقيات مركزنا.

**السيدة بيبيتا** : هل تريد أن أهتف إلى الشرطة؟

**السيد بابلو** : سيكون مناسبا أكثر لو قمت أنا بذلك. سأهتف إلى الأب أيضا لأعلمه بما جرى... المسكين! أذكر أنه حدثني بقلق شديد عن إمكانية وقوع حوادث... لكن الحوادث قد تقع لأي كان، ثم إننا نستطيع إثبات أن المزحلقة وباقي الألعاب تخضع لضوابط بيداغوجية محددة! أليس كذلك، بيبيتا؟

**السيدة بيبيتا** : أجل، لا تقلق من أجل ذلك. اذهب الآن، سأبقى أنا هنا.

**السيد بابلو** : الأبله !... كان يحاول أن... هذا مؤكد! (يخرج من باب الإفريز، تدخل إليسا من اليسار، مازالت بملابسها المدرسية. تتوقف عند الباب).

**إليسا** : ما الذي جرى؟ بلغني أن إغناسيو...

**ميغيل** : إغناسيو انتحر، إليسا. ها هي جثته على الأريكة.

**إليسا** : (تظهر عليها الدهشة دونما انفعال). آه ! (تقترب من ميغيلين بشكل غريزي حتى أصبحت بمحاذاته. تمد يديها نحو يديه شيئا فشيئا وكأنها تعيد امتلاكه. يضغط على يديها بقوة، وشيئا فشيئا تميل إليسا برأسها لتتوسد كتفه).

**السيدة بيبيتا** : أعتقــد أنه عليكم جميعا مغادرة المكان. شــكرا جزيــلا لكم علــى تعاونكــم، واحرصــوا على ألا تخوضــوا كثيرا في الموضــوع مع زملائكم. عمتم مســاء. (تربت مودعة على «كتفي» بيدرو وألبيرتو، فيتوجهــان نحو باب الإفريــز ويخرجان). أخبروا الآخريــن بعدم المجيء إلى هنــا. (يغادر أندريس بدوره من جهة اليسار. يتبعه ميغيلين وإليسا. يبدو ميغيليــن هادئا وجديا. لم تســتطع إليســا تفادي ابتسامة سعادة ترتسم على وجهها).

**إليسا** : يبــدو أن ذلك أفضل بالنســبة له... إنه لم يخلق للحياة. ألا تظن ذلك، ميغيلين؟

**ميغيل** : (برفــق). أجــل. كان ذلك أفضل مــا قد يحدث له. لم يكن يعرف للحياة ذوقا. (تُســمع من اليسار نداءات خوانا، تظهر بملابس النوم وتمر بجانبهما. يغتم ميغيلين عند ســماعها، يحــاول إيقافها، لكن إليسا تقوده برفق نحو الباب ويخرجان).

**خوانا** : كارلوس! كارلوس! هل أنت هنا؟

**كارلوس** : أجل، أنا هنا خوانا. (تجده عند أمامية الخشــبة فترتمي نحوه وهي تنتحب).

**خوانا** : كارلوس! (يمسك يديها وترتسم على شفتيه ابتسامة يشوبها بعض خيبة الأمل. تنظر إليهما السيدة بيبيتا متألمة). المسكين إغناسيو!

**كارلوس** : إنه الآن ينعم بالهدوء.

**خوانا** : أجل. إنه الآن أكثر سعادة. (تبكي). سامحني! أعلم أني جعلتك تتعذب...

**كارلوس** : ليس هناك ما أسامحك عليه، حبيبتي.

**خوانا** : بلى، بلى! عليّ أن أحكي لك أشياء كثيرة... أشياء تجثم على قلبي بشكل رهيب... لكن نيتي كانت حسنة، أؤكد لك ذلك! لم أتوقف أبدا عن حبك، كارلوس!

**كارلوس** : أعلم ذلك، خوانا، أعلم ذلك.

**خوانا** : هل صفحت عنّي؟ سأحكي لك كل شيء! كل شيء!

**كارلوس** : ليس مهما، ما دام أن شيئا كبيرا لم يقع. لقد سامحتك على كل شيء دون أن أعلمه.

**خوانا** : كارلوس! (بإعجاب).

**السيدة بيبيتا** : (مكدرة). عليك الذهاب الآن إلى غرفتك يا آنسة.

**كارلوس** : أنت محقة، سيدة بيبيتا. هيا بنا خوانا علينا الذهاب. (يتجهان يسارا، يبدو كارلوس حزينا جدا، بينما خوانا ترتجف).

**السيدة بيبيتا** : (بمشقة). ابق أنت كارلوس. أريد التحدث إليك.

**كارلوس** : (يطأطئ رأسه). حسنا. وداعا، خوانا.

**خوانا** : إلى اللقاء، كارلوس. وشكرا! (تفترق أيديهما بلطف. تخرج خوانا. يبقى كارلوس واقفا، منتظرا. تنظر إليه السيدة بيبيتا نظرات حزينة. لحظة صمت طويلة).

**السيدة بيبيتا** : إنه مؤسف جدا ما جرى، أليس كذلك؟

**كارلوس** : أجل. (صمت).

**السيدة بيبيتا** : (تقترب وتنظر إليه مواجهة). سيكون من العبث نكران أن المركز تخلّص من أكبر كابوس يهدده... إننا كلنا سنرتاح ونعيش حياتنا مجددا... الحل الذي طلبه السيد بابلو... قد تحقق أخيرا. (بنبرة تقريع). لكن لا أحد انتظر أن يكون بهذا الشكل!

**كارلوس** : (حاسما). كيفما كان الحال، فالخطر قد زال في الوقت المناسب.

**السيدة بيبيتا** : (بمرارة). هل تظن ذلك؟

**كارلوس** : (بحـــدة). ألا ترين ذلك؟ أعز أصدقاء إغناســـيو يهجرونـــه بعد موته، يتهامســـون بجانب جثته. آه، كـــم هم عميـــان، عميان! يعتقـــدون أنهم على حق عندما يشفقون عليه، بينما هم صاغرون وتافهون! ميغيلين وإليســـا قد تصالحا. الآخرون يتنفســـون الصعـــداء كأنهم قد تحرروا من حمل ثقيل. عادت الفرحة إلى الدار! كل شيء قد حُل!

**السيدة بيبيتا** : يحزنني سماعك تتحدث هكذا.

**كارلوس** : (مغتاظا). لماذا؟ (لحظة صمت).

**السيدة بيبيتا** : (مندفعة). ما الذي اقترفته؟

**كارلوس** : (منتصبا). لا أعلم ما تقصدين.

**السيدة بيبيتا** : أحيانا، كارلوس، نعتقد أننا فعلنا شيئا حسنا، في حين أننا قد أقدمنا على ارتكاب فظاعة كبرى...

**كارلوس** : لا أفهم ما تريدين قوله.

**السيدة بيبيتا** : كما أنه يفوتنا أيضا، تقبّل ما يُقال لنا على سبيل المواساة، فنتلقاه على أنه من قبيل الإزعاج... يقترب منا أشخاص يحبوننا ويألمون إن رأونا نتألم، ولا نريد أن نفهمهم... نصدهم، في الوقت الذي نبحث فيه بكل يأس عن حضن صديق نستريح فيه...

**كارلوس** : (ببرودة). شكرا جزيلا على تعاطفك...، الذي لم تعد له حاجة الآن.

**السيدة بيبيتا** : (تمسك بيديه). بني!

**كارلوس** : (يسحب يديه). لست أبله، سيدة بيبيتا. أعلم جيدا ما ترمين إليه. أنا وإغناسيو، نتواجد «كنا نوجد» في الوقت نفسه في الساحة... إنها فرضية خاطئة.

**السيدة بيبيتا** : هذا مؤكد! إنها خاطئة! لم أقل عكس ذلك. (بمهل). ولا أفكر في قول شيء آخر غير ذلك.

**كارلوس** : لا أستطيع أن أشكرك على ذلك. لم أفعل شيئا.

**السيدة بيبيتا** : (ترمي جثة إغناسيو بنظرة خاطفة). حتى إغناسيو المسكين لم يعد يستطيع قول شيء...

لكن اهــدأ، كارلوس... حتى لــو افترضنا أن تلك الفرضية صحيحة... (يتحرك كارلوس في وقفته). أعلم، أعلم أنها ليست كذلك! لكن لو افترضنا أنها صحيحة، فإن قول ذلك لن يفيد في شيء... ومكانة المركز تبقى فوق كل اعتبار.

**كارلوس** : هذا ما أراه أنا أيضا.

**السيدة بيبيتا** : كل ما نفعله يجب أن يصب في صالح ذلك، أليس كذلك؟

**كارلوس** : (ســاخرا). هذا صحيح. أعلم جيدا فيم تفكرين، لا تتعبي نفسك.

**السيدة بيبيتا** : أو أن يصب في صالحنا نحن شخصيا.

**كارلوس** : ماذا؟

**السيدة بيبيتا** : قــد يكون للمركز أعداء...، وقد يكون فيه من ينازعنــا في الحب. (صمت. يســتدير كارلوس ويتقــدم متعبــا نحو اليمين. يصطدم بكرســي مائدة الشطرنج فيسقط أرضا). ترفض أن تثق بي؟

**كارلوس** : (بحدة). أعيد وأكرر، إن ما تفكرين فيه خاطئ!

**السيدة بيبيتا** : (تقترب منه من الخلف وتضع راحتيها على كتفيه). حســنا... أنا مخطئة. لم تحصــل أي جريمة؛ ولو عاطفية. إنك لا تريد إثارة شــفقة أحد، بمن فيهم شفقة خوانا؟

**كارلوس** : (بقــوة). على خوانا أن تتعلم كيــف تتفادى هذا الشــعور الخطير. (صمت. يلعب بقطع الشطرنج المرمية على الأرضية).

**السيدة بيبيتا** : كارلوس...

**كارلوس** : ماذا؟

**السيدة بيبيتا** : سيكون أفضل بالنسبة لك أن تعترف...

**كارلوس** : (ينهــض فجأة). يكفي! تحاوليــن الحصول على اعتــراف غير ممكن! إلى ماذا تســعين؟ أن تثبتي حذاقتك وذكاءك؟ أن تلعبي أمامي دور الأم التي لم تحصل على أبناء من صلبها؟

**السيدة بيبيتا** : (شــاحبة). إنك قاس... لن أكون أنا أقسى منك، لأني كنت قبل نصف ساعة بصدد إتمام تقاريري، وكان قــد خطر لــي أن أنهض لألقــي نظرة عبر النافذة الكبيرة. لم أفعل ذلك. ربما لو فعلت ذلك،

لكنت رأيت أحدا يرقى سـلم المزحلقة وهو يحمل إغناسيو... إغناسيو المغمى عليه، أو الميت ربما! (صمت). بعد ذلك، ومن أعلى، يُرمى بالجسـم... دون أن يحتـاط أو يفكر في أعيـن الآخرين. إننا ننسـى دائما نظر الآخرين. فقط إغناسيو هو من كان يشـغله نظرة الآخرين. (صمـت). لكني لم أر شيئا، لأني لم أنهض من مكاني. (تكف عن الكلام وتجوس بنظراتها ملامح كارلوس).

**كارلوس** : لا، لم تري شـيئا! حتى لو نهضت واعتقدت أنك قد رأيت شـيئا... (بسخرية حادة). ما هو البصر؟ لا يمكن الإبصار هنا ! كيف تجرأت على استحضار شهادة عينيك؟ عينيك؟ تبا!

**السيدة بيبيتا** : (تنتحـب). ليس جيدا أن تكون بهذه القسـوة يا بني.

**كارلوس** : دعينـي وشـأني! لا تحاولي التغلـب عليّ بهذه الترهات النسائية المقرفة!

**السيدة بيبيتا** : نسيت أني تقريبا عجوز...

**كارلوس** : يبدو أنك أنت من نسي ذلك، سيدتي!

**السيدة بيبيتا** : ماذا تقول؟ (تبكي). مجنون، إنك مجنون!...

**كارلوس** : (يائسا). أجل! هذا يكفي، اذهبي! (صمت).

**السيدة بيبيتا** : (مضطربة). أجل، سأذهب.. يبدو أن السيد بابلو قد تأخر بما يكفي... (تمشي ثم تتوقف). إنك لا تبحث عن الصداقة ولا السلم... إنك لا تريد السلم في الوقت الراهن، لأنك تعتقد أنك المنتصر، وهذا وحده يكفيك. لكنك لم تنتصر، كارلوس، تذكّر هذا جيدا...إنك لم تنتصر. (تنظر بحزن إلى كل من القاتل والضحية، ثم تنصرف من باب الإفريز. يهوي كارلوس بثقل جسده ليجلس على الكرسي. يفقد رأسه الاستقامة التي كان عليها من قبل وينحني به على صدره. يتنفس بشدة وقوة.. لم يعد يتحمل، يزيل ربطة العنق بسبب الاختناق، أو لعدم الاكتراث بها. بعد ذلك يدير رأسه إلى الخلف كأنه يستجيب لنداء ما خفي. يقف بمهل. يُسقط بشكل غير إرادي قطع الشطرنج التي بقيت على المائدة، يُصدر سقوطها أرضا ضجيجا حادا وقويا. يتوقف لحظة، لقد أخافه الصوت، يتلمس بحزن القطع التي بقيت على المائدة. بعد ذلك يتقدم نحو الجثة. إنه الآن بمحاذاتها، وبكل قسوة الوحدة التي لا دواء له منها، يسقط جانبا على الأرض، يزيح اللحاف عن وجه الجثة الباردة بحركة

عصبية، يلمسها بكل يأس كمن يحاول إيقاظ نائم لن يستيقظ أبدا، ثم يقف، يتوجه متحسسا طريقه نحـــو النافذة الكبيرة كمن تقوده قوة خارقة. هناك يقف متســـمرا، يواجه نور النجوم الساطعة. يخرج صوته عميقا، ما لبث أن أصبح عنيفا مرتجا برغبة جامحة).

**كارلوس** : ... والآن تســـطع النجـــوم بـــكل بهـــاء وروعـــة، والمبصرون يســـتمتعون بحضورها الساحر. هذه العوالـــم البعيدة توجـــد هناك، خلـــف الزجاج... (ترتجـــف يداه ويضرب بهما على الســـجن الخفي لزجـــاج النافذة كطائـــر جريح). علـــى مرمى من بصرنا!...، آه لو كنا نمتلك البصر!...

إسدال الستار ببطء

# «الظلام الحارق»
# أنطونيو بويرو باييخو
# الدراسة والتحليل النقدي

**الحبكة المسرحية والحوار**

تتكون رواية «الظلام الحارق» من ثلاثة فصول، ورغبة في إجراء تحليل دقيق ومفصّل على الرواية، يمكن تقسيم كل فصل إلى أجزاء أو مشاهد، إذ الفصول الثلاثة لا تمثل الإشكالية والعقدة والحل على التوالي من حيث البنية، بل نجد الإشكالية تبدأ من بداية الفصل الأول إلى أن تصل تقريبا إلى نهايته، عندما يعترف إغناسيو لخوانا بأنه يتوق لرؤية العالم. انطلاقا من هناك تبدأ عقدة هذه المسرحية، اللحظة التي تظهر فيها أول علامة شك في نفوس طلبة المدرسة، عندما لا يستشعر كارلوس وجود صديقته خوانا، وتشمل العقدة الفصل الثاني بأكمله وجزءا من الفصل الثالث (أي الفصل الأخير). أما الحل (إذا اعتبرنا أنه موجود) فسنجده لحظة وفاة إغناسيو. للوهلة الأولى، يمكن أن نفسر أنه مع وفاة إغناسيو فإن المركز التربوي سيعود إلى وضعه الطبيعي، لكن من خلال كلمات كارلوس في نهاية الفصل الثالث يتبيّن لنا أننا لسنا أمام مسرحية مغلقة وأن الحل ليس هو ما افترضناه سابقا، بل حل آخر مختلف جدا: لقد تبنى كارلوس موقف إغناسيو وهذا يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه انطلاقا من هنا تبدأ قصة جديدة أو، بالأحرى، تستمر نفس القصة لكن مع تبادل الأدوار.

عندما يرتفع الستار، يبدأ المشهد الأول الذي يتخذ طابعا تمثيليا. نحن

أمام غرفة في مركز تربوي خاص بالمكفوفين منذ الولادة. يبقى المشاهد مندهشا عندما يكتشف السهولة التي يتحرك بها هؤلاء الأشخاص والإحساس بالوضع الطبيعي الذي يشعرون به. لكن هذا «الوهم بالوضع الطبيعي»، وأجواء السعادة السطحية – كما سنرى لاحقا – سيخلق مناخا من السعادة الذي ستنتهي مع وصول إغناسيو.

كما تتم الإشارة أيضا إلى أحد مفاتيح العمل كله: «يرتدون ملابس أنيقة جدا»، فالملابس تشكل واحدة من تلك العناصر اليومية التي سيعطيها بويرو قيمة رمزية في «الظلام الحارق». ستعرف طريقة لباسهم تغيرا جذريا بحيث أصبحوا لا يهتمون بزيهم كما ينبغي لأن بعضهم تبنى أيديولوجية إغناسيو. في هذا المشهد تتم الإشارة أيضًا إلى الوضع الذي تشغله مختلف الشخصيات، وأيضا يتم وصف البعض منهم (كارلوس، وخوانا، وإليسا). وهناك شخصيات أخرى تم ذكرها بشكل خفيف باعتبارها تنتمي إلى المجموعة ليس إلا. وهناك شخصية أخرى منفردة، ميغيل، الذي تعرض للوصف هو أيضا: يعتبر مهرج المجموعة. كما تم التعريف أيضا في هذا المشهد الأول بالثنائيات الموجودة في هذا العمل: كارلوس–خوانا وميغيل–إليسا. في هذا المشهد يتم كشف الوضع السائد في المركز التربوي ونقل صورة من الفرح العارم بين الطلبة. يتميز هذا المشهد بموقف ساخر ومصطنع تقريبا: هناك سخرية أمام كل حالة، كلها نكت وضحك في بعض الأحيان مبالغ فيها ودون سبب مقنع. واللحظة التي توضح ذلك هي عندما سألت إليسا عن الساعة والكل بدأ يضحك بسخرية مبالغ فيها:

«**إليسا** : (وقد نفد صبرها). كم الساعة يا شباب؟

(يضحك الفتيان تقريبا كلهم بانشراح وكأنهم كانوا

ينتظرون السؤال). لا أدري لم تضحكون. هل من المضحك السؤال عن الساعة؟ (يزداد الضحك). حسنا، سأصمت».

كما يظهر موضوع آخر من الموضوعات الرئيسية في هذا العمل المسرحي: الاستخدام المقيد للغة.

هؤلاء الشباب، كما أنهم لا يريدون أن يطلق عليهم «عميان»، لا يقبلون لهجة التعاطف نحوهم. ومن ثم جاء غضب إليسا في الحوار التالي:

«**كارلوس** : (ساخرا). هذا يكفي، اتركوا المسكينة بسلام.

**إليسا** : أنا لستُ مسكينة!».

يعتبر هذا المركز ملاذا آمنا بالمقارنة مع ما يوجد في الخارج. وهكذا تتأسس العلاقة المتضاربة خارج / داخل، حيث سيكون هذا الأخير البيئة المناسبة لهذه الكائنات، وبالتالي يمكنهم المشي بدون عصا (عنصر رمزي آخر مهم في هذا العمل)؛ بينما في الخارج يشعرون كأنهم كائنات غريبة ومعرضة للخطر في أية لحظة. تعتبر هذه الظروف جد ملائمة من خلال كلمات ميغيل، الذي قال عند وصوله إلى المركز ما يلي: «إن الخارج كتوم يا أصدقاء. هنا يمكنك أن تأخذ أنفاسك. ما إن وصلت حتى رميت العصا للبواب». في الشارع نعم نحتاج إلى العصا: «أخذت يوما عصاي لأخرج إلى الشارع، و...». لكن الكلمات تنقطع بسبب الضجيج الذي أحدثته عصا أحد الشخصيات الآتية من الخارج والتي ستذهب بالهدوء المتصاحب للمجموعة.

بعد ذلك يبدأ المشهد الثاني، وهنا تكمن البداية الحقيقية للمسرحية،

لأن ما سبق ما هو إلا مجرد تقديم، يبدأ وجود إغناسيو حتى قبل دخوله في المشهد من خلال الصوت غير العادي في المركز، الناتج عن سقوط العصا التي تربط إغناسيو بالواقع والتي تعتبر بالنسبة إليه دعما ومدافعا. في هذا المشهد يتم وصف المظهر الخارجي لإغناسيو، والذي يتناقض مع مظهر كارلوس. يشعر إغناسيو بالخوف ويستعد لمغادرة الغرفة، لكنه يتعثر ويسقط. خوانا تساعده على النهوض بيديها.

ثم بعد ذلك يجد إغناسيو نفسه في مواجهة مع العالم الذي دخل إليه، على وجه التحديد، في مواجهة مع كارلوس. أمام الخوف والمضايقة التي يشعر بها، يعلن إغناسيو عن حالته: («أنا ...رجل أعمى فقير»)، وهذه العبارة أخذها الجميع بسخرية، بحيث اعتبروها اعترافا مريرا ومهينا. ويكرر كلماته: «أقول لكم إنني أعمى!». يجيبه ميغيل بنبرة ساخرة: «آه، مسكين، يا لك من مسكين!»، وهذه الكلمة سوف يستخدمها لاحقا والد إغناسيو بمعناها الحرفي («لكن هؤلاء الفتيان المساكين عميان»). بهذه الكلمات، يظهر إغناسيو أنه يرى الواقع بشكل مختلف ويؤكد أنه أعمى بين أولئك الذين يطلق عليهم اسم «المكفوفين»، ويعتبر كشخصية مأساوية تريد أن تكون وفية لواقع ليس دائمًا مسليا وممتعًا.

من المفارقات أن الشخص الذي يدافع عن إغناسيو هو كارلوس، بعد أن اكتشف أنه لا يسخر منهم، بل هو جاد في كلامه. لكن إغناسيو يندهش عندما يتأكد أن أصدقاءه عميان أيضا: «لكنني لا أستطيع تصديق أنكم... مثلي. تمشون بثقة. وتتحدثون معي... وكأنكم... تنظرون إليّ».

بعد ذلك أصبحت العلاقة بين إغناسيو وكارلوس جيدة جدا يسودها الود

والاحترام والتقدير وتحول هذا الاحساس إلى نقيضه بعد اكتشاف أن الوافد الجديد يمثل خطرًا حقيقيا على الأفكار التي يدافع عنها.

وفي المشهد الثالث يظهر مدير المركز التربوي إلى جانب والد إغناسيو، المبصر الوحيد حتى الآن. في هذا المشهد يتم أيضا وصفهما ونلاحظ معارضة مماثلة لتلك التي كانت موجودة بين كارلوس وإغناسيو. نجد تعبيرا مطمئنا موجها إلى الأب: «سيجد ابنك راحته بيننا، كن متأكدا من ذلك. سيجد هنا السعادة والسرور والرفقة الطيبة، وسيستمتع بالألعاب...». لكن، في الواقع، لن يكون ابنه جيدا؛ ولن يصل إلى تلك السعادة لأن تعاسته لا تهدأ، بالإضافة إلى ذلك، سيصبح أكثر وعيا بمأساته. لن يكون له رفقاء جيدون، بل سيصل الأمر إلى تعرضه للقتل من طرف أحد رفقائه. يقدم الحوار هنا موضوع خطورة تلك الألعاب المتواجدة في ساحة الرياضة. يعبر الأب في سؤال ساذج وفي بعض التأكيدات («ألن يسقط؟ يبدو اللعب بتلك الألعاب مستحيلا دون أن يسقطوا أو يصابوا...) سخرية مأساوية سوف تكشف عنها الأحداث.

في المشهد الرابع، يبدأ إغناسيو في التمرد ضد كل ما يحيط به في المركز: يرفض التخلي عن العصا، يصف المدير بكونه رجلا تبدو «سعادته سخيفة»؛ يعتبر نفسه والآخرين غير طبيعيين («قد أكون... غير طبيعي. كلنا كذلك»)؛ يكرر مرة أخرى الكلمة اللعينة: «فنحن الاثنان أعميان».

نظرا لفشل المحاولات في تحقيق اندماج إغناسيو، يلتجئ كارلوس إلى ميغيل في محاولة لجعل إغناسيو يتأقلم مع أجواء المركز، لكن كل هذا من دون طائل.

يتكون المشهد الخامس من حوار بين خوانا وإليسا، ويتوقف حين يأتي كل من السيد بابلو والسيدة بيبيتا. يسأل المدير الفتاتين عن رأيهما حول إغناسيو. عبّرت إليسا عن عدم إعجابها به، لكن خوانا تراه جيدا ولطيفا. ثم طلب منهما السيد بابلو أن ينتبها له من أجل إقناعه وزرع بذور الأخلاق الفولاذية المشهورة التي تميز طلبة هذا المركز في أسرع وقت ممكن. والحقيقة هي أنه لا السيد بابلو ولا أي شخص في المركز يتفهم وضع إغناسيو ورغباته، ولهذا يقدمون له حلولا غير فعالة بالنسبة إليه. في الواقع، كل شخص يحاول إدراج إغناسيو في النظام المدرسي من خلال حلول سطحية فقط. خير مثال على ذلك هو الحل غير المجدي الذي اقترحته خوانا: «الحل بالنسبة لإغناسيو هو... أن تكون لديه صديقة... وعلينا أن نجدها».

يبدأ الآن المشهد الحاسم الذي يختتم به هذا الفصل الأول من الرواية المسرحية ويتجلى ذلك في تحقيق إغناسيو انتصاره الأول. تظل خوانا وحيدة للحظة، ثم بعد ذلك يظهر إغناسيو وهو عازم على الرحيل من المركز، لأنه لم يستطع التكيف مع أجواء المؤسسة ويقرر وضع حد لهذا الوضع بأبسط طريقة، يريد أن يغادر البيت الذي كان يتوقع أن يجد فيه أشخاصا مثله، وهو الشيء الذي لم يحققه. ثم بعد ذلك يوجه كلمات قاسية لخوانا وفي هذا الحوار يكشف بشكل مفصل فلسفة المركز، المعنويات الفولاذية التي تعتبر مرجعية للجميع: «لقد أصابكم سم السعادة. لكنكم تعيشون حياة رتيبة وحزينة دون أن تدركوا ذلك...»؛ «ألا إنكم لا تستحقون الحياة، لأنكم تجتهدون في الهروب من معاناتكم، لأنكم تأبون مجابهة مآسيكم وتعاستكم، متظاهرين بعيش حياة مادية موهومة».

في الفصل الثاني، يحدث تحول فوري في المركز. فقد انتقل من الفرح والسعادة إلى الارتباك وعدم الثقة بين صفوف الطلبة.

يتألف المشهد الأول من حوار بين كارلوس وخوانا الذي يوضح أن شيئًا ما بينهما ليس على ما يرام. كارلوس، وحتى السيد بابلو نفسه، يشعران بالقلق إزاء الوضع الذي خلقه إغناسيو: «الطلبة أكثر تحفظا وعزائمهم خائرة مقارنة بالماضي». هناك أيضًا جانب يشير إلى فقدان الأمن بين صفوف الطلبة وأصبح لا يشعر بعضهم بالبعض الآخر «ويبدو أن الرابط قد انقطع بين هؤلاء العميان».

بعد ذلك، يخبر كارلوس صديقته عن الخطة التي سيقوم بتنفيذها إزاء إغناسيو. لأن جميع المحاولات الرامية إلى جعل إغناسيو يستطيع الاندماج من خلال الصداقة واللطف باءت بالفشل («لقد أثبت لنا إغناسيو أن المودّة واللطف لا يجديان معه، إنه جلف فظ الطباع... إنه مريض! يرد على المودة بالشر.»)، يقترح كارلوس بدء خطة جديدة: «إنها الحرب إذن!». إن هذا التعبير من كارلوس يعطينا فكرة مسبقة عن ماذا سيحدث في نهاية المسرحية. يصرح كارلوس بأنه ينطلق من موقف غير صحيح: فهو لا يقبل أن يقنعه أحد لأنه يشعر بأنه يتملك الحقيقة والمنطق («المنطق لا يعرف الفشل، ونحن أصحاب المنطق»). هذه عبارة رئيسية في المسرحية والتي تقودنا إلى أحد الموضوعات المفضلة من طرف بويرو: الحقيقة ليست شيئًا يُمتلك، ولكن يتم الحصول عليها باستمرار بفضل الشكوك وإعادة التفكير.

المشهد الثاني جماعي: يظهر إغناسيو رفقة عدة أصدقاء، وستكون هذه هي

اللحظة التي تحدث فيها المواجهة بين كارلوس وإغناسيو. على الرغم من أنه مشهد جماعي، الشخصيات التي يسلط عليها الضوء أكثر هي الشخصيات البطلة، بينما يتم اعتبار الآخرين مجرد أفراد من المجموعة. في هذا المشهد، تحدث الهزيمة الجدالية لكارلوس. يكرر إغناسيو رفضه لفكرة أنهم مثل المبصرين: «لماذا تدخنون؟ أمحاكاة للمبصرين؟».

في محادثته مع زملائه، يقتصر إغناسيو على سرد حكايات تصب في موضوع واحد: تعثراته وخوفه منهم، الخجل الناتج عن السقوط.. إلخ. وصل هوسه إلى درجة أنه لا يوجد لديه موضوع آخر للمحادثة غير هذا النوع من الموضوعات التي تقوض ثقة زملائه في نفوسهم وجعلهم يشعرون أنهم أقل شأنا من المبصرين. يتضمن هذا التأمل أيضًا بعض الكلمات التي يمكننا اعتبارها إشارة أو تلميحا اجتماعيا: «لأول مرة أحاول فهم لماذا أنا أعمى ولماذا يجب أن يكون هناك عميان. لكم هو بغيض، إن أغلب الناس الذين لا يفوقوننا قيمة، ودون أي استحقاق يذكر، ينعمون بقوة عجيبة تنبع من أعينهم». من هنا يمكننا أن نستنتج أن المؤلف يشير بوضوح إلى عدم المساواة الإنسانية والاجتماعية، مما يجعل البعض محظوظا والبعض الآخر تعيسا.

ثم بعد ذلك نصل إلى الفصل الأخير من هذا العمل المسرحي؛ الذي يشهد الحل العنيف وغير المناسب التي اتُخذ في حق إغناسيو. نلاحظ انطلاقا من الوهلة الأولى أنه تم حدوث تغيير في المشهد والآن يوجدون في غرفة أخرى في المركز. يظهر كل من كارلوس وإليسا، اللذان تخلى عنهما أصدقائهما، ولكن بمواقف مختلفة للغاية تجاه هذه الحقيقة: تعاني إليسا كثيرا من هذا الأمر، لكن كارلوس يمتنع عن التعبير عن المعاناة لأنه

«لم يحدث شيء» «خوانا لم تكفّ عن حبي أبدا». لكن تأثير إغناسيو قد انتشر بالفعل في جميع أنحاء المركز وقد وصل إلى كارلوس أيضا، الذي غير من مظهره الخارجي: بحيث لم يعد يعتني بزيه كما يجب، وأصبح يمشي بـ «قميصه مفتوح الأزرار عند العنق، وربطة العنق مائلة».

ثم يأتي المشهد التالي الذي ربما هو أهم مشهد في هذا العمل؛ يتعلق الأمر بحوار آخر بين اثنين من الشخصيات الرئيسة والذي يعتبر بمثابة تتمة للحوار السابق من الفصل الثاني. يعرضان من جديد أقوالهما، لكن هذه المرة مع دلالات جديدة. عندما طلب كارلوس من إغناسيو أن يغادر المركز، أجاب هذا الأخير بأنه لن يفعل ذلك وهو منشغل جدا بالآخرين («إن الرفاق، بمن فيهم أنت، يهمونني أكثر مما تتصور! عماكم يؤلمني كجرح غائر في جسدي؛ أتألّم بسببه أنا مكانكم أنتم جميعا!»). لأول مرة يظهر فيها إغناسيو الأمل نحو المستقبل وليس مجرد مدمر لأحلام الآخرين. من دون أدنى شك، هذا الأمن الناتج عن حب خوانا هو الذي جعله يتطور. يؤكد بويرو أن الإيثار يغمر الشخصيات البطلة في نهاية المسرحية: يحترق إغناسيو بالحب نحو الآخرين.

يظهر في المشهد التالي كل من كارلوس والسيد بابلو وزوجته، القلقين من التأثير المزعج من جانب إغناسيو. يرد كارلوس بكذبة على سؤال السيدة بيبيتا، ربما لأنه يعتقد أن تلك الإجابة الخاطئة يمكن أن تكون بمثابة ذريعة بعد ارتكاب الجريمة التي يبدو أنه يفكر فيها منذ المشهد السابق:

«**السيدة بيبيتا** : (بفضول)، هل ذهب إغناسيو لينام؟

**كارلوس** : أجل، أظن ذلك».

ثم بعد ذلك يطلب السيد بابلو من كارلوس أن يحاول إقناع إغناسيو بمغادرة المركز. إلا أن كلمات المدير («في كل الحالات عليه أن يرحل!»، المماثلة للكلمات التي نطق بها كارلوس من قبل والعبارة «هل تفكر في حل ما؟ إني أثق كثيرا في ذكائك». (محملة بسخرية مأساوية وغموض فيما يتعلق بنية المدير عند النطق بها) هي التي جعلت كارلوس يحسم في الحل النهائي: قتل إغناسيو والتخفي وراء حادث ليلي في ساحة الرياضة. يعتقد أن اللجوء إلى العنف هو المخرج الوحيد.

ينفذ كارلوس خطته (جريمته)، لكنه لم ينتبه إلى أن السيدة بيبيتا، المبصرة، تتواجد في غرفة تطل على ساحة الألعاب، وبالإضافة إلى ذلك، فهي ليلة مضيئة كليلة البدر. تقترب السيدة بيبيتا، وحدها من المشهد، من زاوية النافذة وتصرخ وهي مندهشة لما تراه: لقد قتل كارلوس إغناسيو. بهذا، نلاحظ كيف أن أيديولوجية المركز تلتجئ إلى العنف عندما يختل النظام الموجود.

يأتي الجميع بعد صراخ المرأة، وهذا المشهد الجماعي ما قبل الأخير سيجعل جميع الشخصيات تتسامح فيما بينها أمام جثة إغناسيو: يعود ميغيل للارتباط مع إليسا وتعود خوانا إلى كارلوس. كان شعور خوانا بالتعاطف مع إغناسيو جد قوي لدرجة أنه يتم الخلط بينه وبين الحب، لكنها ليست فقط تشفق، بل تحب إغناسيو حبا فيه الشفقة.

يبقى سبب وفاة إغناسيو، بالإجماع وبعد اقتراح عدة فرضيات، مثبتا: توفي جراء سقوطه من المزحلقة عندما كان يمارس رياضة التزحلق في

سرية ودون وجود أي شخص. لكن يمكن للمشاهد (أو القارئ) أن يتنبأ بما يوجد خلف هذه النظرية الرسمية عن سبب موت إغناسيو.

لذلك، لا ينتهي هذا العمل المسرحي في هذه النقطة، بل هناك مشهد قاس بين كارلوس والسيدة بيبيتا التي توضح للشاب أنها رأت كل شيء. صحيح أن الحياة في المركز قد عادت إلى وضعها الطبيعي: «الحل الذي طلبه السيد بابلو... قد تحقق أخيرا. لكن لا أحد انتظر أن يكون بهذا الشكل!».

يتظاهر كارلوس بعدم فهم كلمات السيدة بيبيتا ويؤكد أنه انطلاقا من هذه اللحظة كل شيء سيعود إلى طبيعته: «عادت الفرحة إلى الدار! كل شيء قد حُل!. إلا أن السيدة بيبيتا تسعى للحصول على اعتراف من جانب الشاب، لكنها تجد نفسها أمام برودة ساخرة، شبيهة بتلك التي كان يظهرها إغناسيو قيد حياته.

في هذا المشهد الأخير يتطور وضع يجعل القارئ-المتفرج يؤول شعور السيدة بيبيتا نحو كارلوس بكونه يتجاوز حنان الأم. بالفعل في الفصل الثاني تشير إلى هذا الحنان الخاص: «إنه الطالب المفضل لديها في المركز. ربما ترى فيه الابن الذي لم تتمكن من إنجابه مع السيد بابلو... أو لعلها تكون مشغوفة به قليلا دون أن تدري ذلك».

بعد استمرار حديثه مع السيدة بيبيتا، يظهر كارلوس أنه متأثر، لكنه يعتقد في الوقت ذاته أنه حقق انتصارا، وبالتالي تتدخل السيدة بيبيتا لتحذره قائلة: «لكنك لم تنتصر، كارلوس، تذكّر هذا جيدا... إنك لم تنتصر... من خلال هذه الكلمات يتم التنبؤ بما سيؤكده المتفرج (أو

القارئ) حول الجمل الأخيرة لكارلوس في نهاية المسرحية.

سيتم ترك المشاهد وهو لا يدري ما إذا كان كارلوس هو من قتل إغناسيو أو لا، لكن القارئ سوف يتأكد من ذلك عند قراءة الوصف الأخير الذي يصف خروج السيدة بيبيتا من الغرفة: «تنظر بحزن إلى كل من القاتل والضحية، ثم تنصرف من باب الإفريز». في المقابل، سيكتشف المشاهد كيف أن إغناسيو خرج منتصرا من هذه المعركة. ويتشبه كارلوس بإغناسيو أولا في الحركات والتصرفات إلا أنه لم يعد يتحمل، يزيل ربطة العنق بسبب الاختناق، أو لعدم الاكتراث بها»)، وأخيرا، يتشبه مع الضحية في المشاعر، لأنه يعبر بكلمات مشابهة عن الرغبة في رؤية النجوم التي عبّر عنها سابقا إغناسيو:

كارلوس: ... والآن تسطع النجوم بكل بهاء وروعة، والمبصرون يستمتعون بحضورها الساحر. هذه العوالم البعيدة توجد هناك، خلف الزجاج... (ترتجف يداه ويضرب بهما على السجن الخفي لزجاج النافذة كطائر جريح). على مرمى من بصرنا! ...، آه لو كنا نمتلك البصر! ....

إغناسيو: إن ذلك يعني أن النجوم الآن تسطع بكل بهاء وروعة، وأن المبصرين يستمتعون بمشاهدة ذلك المنظر العجيب. تلك العوالم البعيدة جدا توجد هناك (يقترب من النافذة الكبيرة ويلمس زجاجها). خلف هذا الزجاج، على مرمى بصرنا...، آه لو كنا نمتلك البصر!.

## الشخصيات

فيما يتعلق بالشخصيات المشاركة في روايات بويرو باييخو، يمكننا القول بأنهم ليسوا بشخصيات عامة أو مجرد أفراد، بل عبارة عن رموز درامية. في العديد من أعمال بويرو وتنقسم الشخصيات إلى:

شخصيات تعيش بدون تحفيز، تسيطر عليهم الظروف، وينخدع عليهم الكذب الذي تم خلقه لتحمل على نحو أفضل ألم الحياة.

شخصيات متمردة، هم أبطال دراميون، يواجهون هذا الموقف من الباطل والكذب من أجل تعرية الحقائق. الحقيقة فقط هي التي تجعلنا أحرارا، وفقط انطلاقا من الحقيقة يمكننا الوصول إلى السعادة حقا.

عندما تكون المواجهة بين اثنين من الشخصيات الرئيسة لا يمكننا الحديث بالطبع عن «شخصيات جيدة» أو عن «شخصيات سيئة» إلى حد كبير. عادة ما يمثل أو يدافع أحدهم عن القيم الأخلاقية والمعنوية الإيجابية، بينما يمثل الطرف الآخر، في المقابل، تلك الشخصية المشحونة بالسلبيات، إلا أن «الشخصية الجيدة» ترتكب أخطاء أيضًا، و«الشخصية السيئة» تكون على حق أيضا. كلتا الشخصيتين تكمّل بعضها البعض في شخصية افتراضية مثالية تكون مزيجا من الاثنين معا.

كما يمكننا القول بأن شخصيات بويرو باييخو اعتادت على أن تتماشى مع الخصائص التالية:

حيث يمثلون عاهة جسدية أو مرضا نفسيا.

لا يقتصرون على معالجة المشكلات البسيطة أو ينحصرون في رموز، ولكن يذهبون إلى ما هو أبعد.

هم شخصيات معقدة تخضع لعملية تحول على مدار العمل.

يميزهم النقد فيما بين شخصيات فعالة وشخصيات متأملة، غير فعالة، يخلو النوع الأول من الشكوك ويكون سلوكهم بدافع الغرور أو بسبب غرائزهم الدنيئة لدرجة أنهم يشكون في كونهم قساة ويتميزون بالعنف ما دام خلال ذلك يحققون أهدافهم. هذه الشخصيات ليست سيئة، فالفروق الموجودة بين الأخيار والأشرار لا تظهر في مسرح بويرو. أما بالنسبة للشخصيات المتأملة غير الفعالة فهم يشعرون بالذعر فالعالم الذي يعيشون فيه ضئيل للغاية وهم أيضا يتحركون في كون مغلق ناحية الأمل، وعلى الرغم من وعيهم بحدودهم، يتطلعون لما هو محال وهم بدون شك عرضة للفشل، كما أنهم لا يظهرون أبدا مجسدين أحلامهم.

بالنسبة للشخصيات المشاركة في رواية «الظلام الحارق»، نجد شخصيات رئيسية (إغناسيو، وكارلوس، وخوانا) وشخصيات ثانوية (ميغيل، وإليسا، والسيد بابلو، والسيدة بيبيتا، وأب إغناسيو)، بالإضافة إلى أعضاء المجموعة (أندريس، وبيدرو، ولوليتا، وألبيرتو، وإسبرانسا). سنعرف بعض هذه الشخصيات ولا سيما الشخصيات البارزة في هذه الرواية المسرحية.

إغناسيو: إنه الوافد الجديد إلى المدرسة، وهو الذي يحدث «ثورة» بين الجميع. يعتقد أن المكفوفين هم بؤساء ولا يقدرون على فعل أي شيء، ولا حتى الاستمتاع. كما يعتقد أنه لكونه أعمى لا يستطيع أن يستمتع بالحياة، وبالتالي لا يستحق العيش لأنه ليس ضروريًا بالنسبة إليه. ما يقوم به إغناسيو مِنْ تيئيس وإحباط لزملائه وجعلهم يفقدون الثقة في أنفسهم،

لأنه، حسب قوله، جاء من أجل الحرب وليس من أجل السلم والسلام.

كارلوس: يعتبر هو الآخر بمثابة البطل في هذه الرواية. لديه تعقيدات أقرب إلى الواقع، إنه شخصية مستديرة. يحاول أن يجعل إغناسيو يغير من طريقة تفكيره حول الأشخاص المكفوفين، لكنه يفرض نفسه أكثر من اللازم. إنه طالب نموذجي وصديق خوانا ويشعر بالغيرة لأنه يعتقد أن هناك شيئًا بينها وبين إغناسيو.

خوانا: تعتبر شخصية مستديرة وتشعر بشيء تجاه إغناسيو، لكنها بعد ذلك تدرك أنها مازالت تحب كارلوس. بدورها، تحاول تغيير طريقة تفكير إغناسيو، وتحاول أيضا أن تجعله يتخلى عن العصا، لكن كل ذلك بدون جدوى أو فائدة.

في المسرحية، يشير إغناسيو إلى أن المبصرين يعيشون في عالم ممتلئ بالأباطيل والأكاذيب، وأن العميان هم الأشخاص الحقيقيون، رغم أنهم يعانون من الحزن.

يعتقد إغناسيو أنه عندما يصل إلى المدرسة سيزرع الأمل في نفوس الطلبة من خلال الكلمات التي سيوجهها لهم، لكن، عكس ذلك تماما، الشيء الوحيد الذي جلبه لهم هو الحزن.

السيد بابلو: يمثل مدير المؤسسة، فهو أعمى أيضا. يريد الخير للجميع. عند ولوج إغناسيو إلى المدرسة اعتقد أنه باستطاعته تغيير موقف هذا الأخير، لكن واقع الأمر لم يكن هكذا وأصبح يزرع الحزن والكآبة في نفوس الطلبة الآخرين، يريد السيد بابلو أن يطرده من المدرسة، ولكن لم يقدر على أن يقول ذلك في وجه إغناسيو بل كلف كارلوس بهذه المهمة.

ميغيل: هو شخصية ثانوية، يغير من طريقة تفكيره وتصرفه خلال المسرحية، إنه شخصية مستديرة. ميغيل هو صديق إليسا، وينفصل قليلا عنها عندما يجيء إغناسيو إلى المدرسة.

وننتقل الآن إلى الحديث عن السمة الرمزية التي يتخذها كل اسم من هذه الأسماء انطلاقا من معناها. «إغناسيو» تعني «كالنار» وفعلا هي شخصية تؤكد أنها تحترق «أما أنا فأحترق بداخلي، أحمل بداخلي نارا رهيبة، لا تتركني أعيش، وقد يمتد لهبها ليحرقكم جميعا... أحترق في هذا الذي يسميه المبصرون ظلاما، إنه شيء رهيب...، ». أما «كارلوس» فتعني «صاحب ذكاء نبيل». وبالفعل، فكارلوس هو رجل نبيل لا يريد سوى الخير للجميع، ويشكل ذكاؤه إحدى أدواته في النضال. هو شخص رزين (لم ينفد صبره بشكل سريع)، وعقلاني، وكامل، وأنه، بشكل عام، لا ينجرف وراء رغباته. وأما «خوانا» فتعني «حنونة ورحيمة». وسبق أن أشرنا إلى شفقتها وموقفها نحو إغناسيو وكارلوس. وأما «إسبرانسا» فتعني «الأمل». فهي شخصية حيوية وسعيدة في البداية، لكن أصبحت بعد ذلك تشعر بالعجز والوحدة والضجر (وتحتاج إلى ذلك الأمل الموجود في اسمها).

**المكان والزمان**

ولنتحدث الآن عن الإحداثيات (المكان والزمان) التي تتحرك فيها هذه الشخصيات السالفة الذكر.

وفيما يخص الزمان، لدينا زمن تاريخي وزمن رمزي وزمن التمثيل (ساعتان تقريبا).

الزمن التاريخي: تقع أحداث هذه المسرحية أثناء سنوات ما بعد الحرب

الأهلية الإسبانية، رغم أنه لا تظهر إشارات تاريخية تحدد لنا ذلك.

فيما يتعلق بالزمن الرمزي، يمكننا القول بأنه على الرغم من عدم وجود أي تاريخ أو أي إشارة زمنية، باستثناء بداية الموسم الدراسي الذي ربما يكون في شهر سبتمبر، تجري الأحداث على مدى بضعة أشهر. توجد بعض العناصر التي تشير إلى بعض الجوانب من الزمن، مثل التغيير الذي تشهده الأشجار (من الصيف إلى الخريف)، والانتقال من مكان إلى آخر داخل المركز بسبب التغيير في درجات الحرارة...إلخ.

وبالتالي، نستنتج أن هذا العمل المسرحي يعتبر خطيًا، بحيث لا توجد قفزات.

فيما يتعلق بالمكان، يمكننا الإشارة إلى أنه في هذا العمل نجد أنفسنا مع وحدة مكانية (المركز التربوي) الذي يعتبر فضاءً اجتماعيا مصغرا. تتشكل هذه الرواية من ثنائية بين الداخل والخارج، حيث يعتبر العالم الخارجي، حسب إغناسيو، خطيرا، في حين أن الداخل يعتبر بمثابة ملجأ ودفاع عن هذه الكائنات من كل ما قد يأتي من الخارج.

في هذه الرواية يتم ذكر مكانين مختلفين من المركز: في المكان الأول تجري أحداث الفصلين الأول والثاني («قاعة التدخين في مركز تربوي عصري: مكان شبه مغلق تحلو فيه المسامرة من أجل قضاء أوقات رائعة. في الخلف يسارا يوجد...). وفي المكان الآخر، تجري أحداث الفصل الثالث (غرفة المركز). تم وصف هذه الأماكن بشكل مفصل في بداية الفصول الثلاثة، بحيث يمكن للقارئ أن يكون فكرة جد واضحة عن مظهر تلك الأماكن.

**مميزات المؤلف**

كان بويرو باييخو كاتبا ملتزما في مسرحه، وفي مختلف كتاباته وحياته نحو قضايا الإنسان ومعاناته، وقد أصبح بذلك من أشهر الكتاب المسرحيين في إسبانيا، ومن ثم تتفجر في أعماله المسرحية معاني الاحتجاج، والإدانة والانتقاد، والسخط والتمرد والثورة والتطلع نحو السلم والتحرر والانعتاق. وبقدر ما كان باييخو حريصا على رواية الأحداث التاريخية خلال هذه الحرب الممقوتة برمزية عميقة، كان كذلك حريصا على انتقاء أسلوب أنيق ومبسط يتوافق مع استعمال الرموز، والإيحاءات هروبا، وفرارا وتنصلا من الرقابة الفاشستية في عصره، فكان يلجأ إلى استعمال التعابير العامية الموحية والموفية المستوحاة من لغة الشارع اليومية، في أسلوب يعتمد على التركيب اللغوي المزجي البسيط، وقد أدرك بهذه الخاصية المتفردة مراتبَ عليا من الجمالية اللغوية في سلاسة تعبيرية، وطلاقة وتلقائية وعفوية، ذلك في زمن اتسم بالألم، والحزن، والبؤس، والشقاء، والفقدان خلال الحرب العالمية الثانية من جهة، ثم إبان الحرب الأهلية الإسبانية من جهة أخرى، التي جعلت شعبا واحدا يدخل في عراكٍ دامٍ، ومواجهة عاتية، وفي عداء سافر في ما بينه وبين مختلف فئاته، وطبقاته، وأطيافه، بسبب أيديولوجيات سياسية مستوردة ودخيلة. ولقد صور لنا بويرو باييخو في أعماله المسرحية مواقفَ درامية ومأساوية مؤلمة لهذه المواجهات وهذا التطاحن، كما سلط الأضواء على العديد من التناقضات التي كانت تعيشها إسبانيا في ذلك الحين، وعن الصراع ليس بين ما هو وافد أو وارد، أو أصيل، بل كذلك بين التقاليد والعادات المتوارثة، والتطلع نحو الانفتاح، والمعاصرة والحداثة في مختلف مناحي الحياة.

**«الظلام الحارق»**

يكمنُ تنوع مسرح باييخو كذلك في توحده، فعلى الرغم من تعدد مسرحياته، واختلاف عناوينها، وتباين مضامينها إلا أنها دائما كانت تصب في مصب واحد وهو معاناة الإنسان، ومآسيه، وتناقضاته، وتعنته وتكبره، وأخيرا احتراقه في ظلام دامس، متوقد، حارق ملتهب. ولباييخو بالفعل مسرحية تحمل هذا العنوان «الظلام الحارق» كتبها عام ١٩٤٦ أي عشر سنوات بعد أن وضعت الحرب الأهلية الإسبانية أوزارها، وقد تم عرض هذه المسرحية على مختلف مسارح إسبانيا عام ١٩٥٠. وفي هذه المسرحية يضع باييخو المتفرجين (نحن) في المرآة ويعلمنا كيف لا نخشى ولا نخجل مما نرى أو يتراءى لنا فيها! إنه يضع أمامنا مركزا لتعليم الشبان كلهم عميان منذ الولادة، وتطفو على سطح المسرحية حقيقة مُرة مفادها نكران حقيقة العمىَ لدى هؤلاء، وجعلهم يعيشون في قناعة محدودة لا تعدو المقاييس المتفق عليها بالنسبة لهؤلاء الذين أصيبوا بهذه العاهة. وفي بداية موسم دراسي جديد يلتحق بالمركز طالب يدعى إغناسيو الذي سوف يعارض ويناهض بشدة الأكاذيب الرسمية التي يروجها المركز حول العمى، والقول جهارا وبكل جرأة أنه أعمى كما أن جميع الذين يتابعون دراستهم في هذا المركز هم عميان كذلك، وأن همهم الأول الآن هو رغبتهم في أن يصبحوا مُبصرين، أي أن يروا العالمَ مثل سواهم من البشر. ويشير الناقد الإسباني ريكاردو دوفيش إلى: «أن العمىَ هنا هو رمز لمحدودية الكائن البشري، وإن الرغبة في الرؤية أو النظر تعني التطلع نحو المطلق والضياء، وهذه هي المفاتيح الأساسية لفهم هذه المسرحية وبشكل عام لفهم مسرح باييخو في مجمله». ففي هذه المسرحية التراجيدية يسعى البطل وزملاؤه

إلى الرؤية، رؤية العالم وأن بعض العاهات الجسدية أو النفسية (العمى) الجنون، الصمم. على سبيل المثال في معانيها العديدة: العزلة، الوحدة، الاكتئاب، المعاناة، أي عدم التمكن من معرفة الحقيقة أو رؤيتها إنما تعني تفجيرا لمأساة الإنسان في أسمى معاني الصراع الدرامي عنده، وهنا يكمن ما يسمى بالواقعية الجديدة أو الواقعية الاجتماعية في الأدب المعاصر، ومسرح باييخو يحفل بهذا الاتجاه، ذلك أن مسرحه بالأساس هو مسرح رمزي، وواقعي، وإيحائي في آن. فعندما كان البطل في أحد مشاهد مسرحية «الظلام الحارق» يعبر عن رغبته العميقة في أن يصبح مبصرا، نرى الظلام فجأة وقد طفق ينتشر ويشمل رويدا رويدا خشبة المسرح، ثم يعم الظلام المسرح كله، فيغدو كل شيء في ظلام دامس، وفي هذه اللحظة يصبح الجميع بمن فيهم المشاهدون أو المتفرجون عميانا مثل إغناسيو. وفي مسرحية أخرى لباييخو وهي «حلم العقل» يجعل المتفرجين يقاسمون صممَ الرسام الإسباني الشهير «غويا». وفي مسرحية «المؤسسة» يصبح جنون البطل هو جنون المشاهدين أنفسهم، وهذا الانغماس، أو الغوص بمعنى «المشاركة» يعتبر من أهم السمات التي يتميز بها مسرح باييخو.

**الأسطورة وتراجيديات باييخو**

في مسرح باييخو نجد ثلاثة محاور أسطورية أساسية تعتبر من أبرز مضامين المسرح منذ الإغريق: فأسطورة «أوديب» تتجلى في معالجة الكاتب لعاهة العمى كبُعد إنساني عميق ومؤثر بهدف تجلية الحقيقة، وهو هاجس تراجيدي معروف لدى الإغريق منذ يوربيديس، وسوفوكليس، وسواهما، وأسطورة أو حكاية «قابيل وهابيل» نجدها عند باييخو عند

معالجته للحرب الأهلية الإسبانية والتطاحن والاقتتال بين الإخوة، ثم أخيرا أسطورة «دون كيشوت» التي تتوق لسبر أغوار المستحيل والتطلع نحو المجهول أو الغيب، أي اكتشاف ما وراء الأفق أو الظاهر، وهي ميزة أخرى تطبع مختلف أعمال باييخو، ومن هنا يكتسي أو يكتسب مسرح هذا الكاتب قيمه التراجيدية المأساوية، فرؤيته للعالم هي رؤية تختلف عن الرؤية المادية البحتة، بل هي نموذج من التفكير الطليق على غرار الفيلسوف الإسباني ميغيل دي أونامونو.

**الدراما التاريخية**

تعد أهم المميزات الأساسية للدراما المستوحاة من التاريخ هي القدرة على الربط بين الماضي والحاضر، وهنا تكمن مقدرة باييخو في الوساطة التراجيدية بين الزمنين. فمسرحيتاه «حكاية سلم» (١٩٤٩) و«الظلام الحارق» (١٩٥٠) تعتبران تقصيا مهووسا للظرف التراجيدي للإنسان كعنصر بارز من عناصر التاريخ، بل إننا نجد هذا الهاجس في تقصي عامل الزمن في مسرحيتين أخريين شهيرتين للكاتب وهما: «الحاكم للشعب» (١٩٥٨) و«الانفجار» (١٩٧٤)، إن الفرق بين «الضمير المعتقدي» و«الضمير التراجيدي» لا ينحصر في تقبل الحقيقة أو تغييرها، بل على العكس من ذلك يكمن في عدم قبول انشراح المتفرج بإجابة أو تفسير يؤديان إلى تلاشي الصراع القائم، وإن الضمير التراجيدي يحول السؤال أو عملية التساؤل، والاستفسار إلى تناوش تراجيدي متداخل، بتفجير السؤال نفسه على خشبة المسرح، وبالتالي نجعل المتفرج مشاركا بالضرورة في البحث عن الإجابة، ليس على خشبة المسرح وحسب، بل في الحيز التاريخي والزمني كذلك، والإجابة هنا رهينة بطبيعة الحال بمقدرة وكيفية تلقي

المتفرج للسؤال وفهمه واستيعابه. وإذا تأملنا مسرحيات باييخو فسوف نجدها حافلة بهذا التساؤل التاريخي، فتغدو التراجيديا وسيلة مفتوحة لا مغلقة، لأنه بذلك يستبدل مفهوم القدَرية بالحرية، مُحولا إياها إلى المِحور المُحرك لنظرته التراجيدية للتاريخ، وتغدو المسافة الممتدة بين الكاتب والمتلقي للنص هي المسافة القائمة بين «الضمير التراجيدي» وتساؤله و«الضمير» وجوابه ولذلك تتحول الدراما إلى حقيقة تاريخية، ويظل المتفرج وحده باستطاعته تخطي الحواجز وتجاوزها وإيجاد الحلول المناسبة للصراعات المحتدمة في سياق التاريخ.

**الأسلوب**

تتميز أعماله بأسلوب دقيق ورصين. ويستعمل لغة بسيطة، تتكيف مع المستوى الاجتماعي والثقافي للشخصية. إنها لغة حية وتتميز بقوة درامية عظيمة.

**أهمية بويرو في تجديد مسرح ما بعد الحرب**

لم يكن أنطونيو بويرو باييخو كاتبًا مسرحيًا هائلا فحسب، بل ظهر بهذه الصفة في لحظة تاريخية جد مهمة: فترة ما بعد الحرب الأهلية مباشرة. في ذلك الوقت، كان المسرح الإسباني يفتقر إلى مبدعين كبار ونجا من إعادات كلاسيكية، أو أعمال كوميدية دون المستوى أو أعمال إشهارية. كان بويرو هو أول من اقترح مسرحًا ذا مستوى عال، مسرحًا إنسانيًا واجتماعيًا وسياسيًا أسهم في النهوض بالمسرح في إسبانيا.

ما يميز مسرح بويرو باييخو يكمن في أنه ينتقد دون أن يترك أثرا باديا استعمل الأسلوب النقدي. يحاول توعية المتلقي غير مظهر في نفس

الوقت أثرا للنقد من أجل تفادي الرقابة التي كانت تلاحق كل من تجرأ على الخوض في المواضيع الحساسة التي كانت تثير حفيظة النظام السياسي. بخلاصة، يوجه بويرو في أعماله انتقادات ضمنية وغير مباشرة بغية توعية وتحسيس الآخرين فقط، عكس ما كان يقوم به الكاتب المسرحي الإسباني الكبير، ساستري (Sastre)، الذي كان ينتقد بشكل مباشر ويحرض الناس للتحرك والقيام بثورة ضد الفساد والمفسدين. رغم ذلك لم يصل إلى ما وصل إليه بويرو لأن العديد من أعماله كان مآلها المنع بسبب الرقابة الشديدة التي طبقت عليه. أما بويرو فكان ينتقد بصمت ولا يحدث ضجيجا، وبالتالي رسائله وصلت إلى القارئ بشكل واضح وكل أعماله استطاعت أن ترى النور رغم الرقابة.

**العناصر الرئيسية في مسرحياته الدرامية**

يمكننا أن نلاحظ في مسرح بويرو باييخو عدة عناصر تتكرر في كل إنتاجاته. سنحاول تلخيصها في ما يلي:

**الواقعية والرمزية**

إن مسرح بويرو، بصفة عامة، هو واقعي ورمزي. في أعماله، أحيانا تطغى الواقعية وأحيانا أخرى تكون الرمزية هي السائدة. ينطلق من مواجهة إنسانية واجتماعية، مع تطور منطقي وعقلاني للأحداث، حيث ترتبط عناصر رمزية فيما بينها لتعطي بعدًا أكثر أهمية للدراما.

هناك رموز أخرى تتكرر في مسرحياته، وهي:

العمى، وهو الموضوع الذي يطغى على هذه الرواية التي نتناولها في هذا

التحليل، «الظلام الحارق». غير بعيد عن موضوع العمى، هناك أيضا قيود جسدية ونفسية أخرى مثل الصمم أو المرض العقلي. عندما يشير بويرو إلى العمى لا يقصد به العميان، بل يقصد بذلك في الواقع الأشخاص الأصحاء المبصرين. إنه عمى رمزي فقط: عجز الإنسان عن تجاوز قيوده وفرض إرادته وكشف الحقيقة في تصرفاته وفي كل ما يدور حوله. مقابل العمى، يوجد رمز النور: اكتشاف الحقيقة.

**أخطاء المؤلف**

استطاع بويرو باييخو، رائد المسرح الإسباني، أن يتغلب على عقبات كؤود لإخراج أعماله المسرحية إلى العلن. فقد أخبر خوسي تامايو (José Tamayo) أن بويرو كان يغير من استراتيجياته للإفلات من عيون الرقابة، واستطاع بالتالي على عكس العديد من الكتاب والمسرحيين الوصول إلى شرائح عديدة من الإسبان، وأيقظ نار الشوق إلى الحرية في نفوس مشاهديه. لم يكن الأمر سهلا في زمن فرانكو وزبانيته، وبالتالي فسلوكه منهجية جديدة ومتجددة في الدراما والمسرح الواقعي أضفى رونقا جديدا على المسرح الإسباني في زمن المحن والمضايقات. إلا أننا نرى أن بويرو لم يستطع أن يخرج شخصياته المسرحية من قلقهم وأرقهم، بل كرس الواقع المر المعيش في ظل سياسات لا تشجع على التفكير الحر.

فمسرحيته «الظلام الحارق» كرست الواقع المهيب والحالة المتردية للشخصيات. وبالتالي فغلبة الفكر الانهزامي في المسرحية جعل الشخصيات مترددة في كل المشاهد تقريبا. كما أن اختياره قتل «إغناسيو» نفسه في الأخير لا يترجم شخصية بويرو «القوية». فقتله بهذه الصورة

تكريس للواقع، ومحاولة للزج بالأفكار المغايرة إلى مقبرة النسيان. صحيح أن هناك قراءات متفائلة من طرف النقاد للنهاية المأساوية «لإغناسيو»، إلا أن بويرو كان عليه أن يبحث عن نهاية أخرى تفتح باب الأمل على مصراعيه أمام المشاهد. فهذا الأخير سيخرج حزينا بعد رؤيته للنهاية الحزينة للبطل المعول عليه في التغيير. وبالتالي فإحساسه بالغبن سيزداد اتساعا. إن قتل إغناسيو بهذه الصورة يترجم الاهتزازات النفسية التي تخالج بويرو، وعدم اعترافه بقرب الانفراج. كان على بويرو أن يزج بشخصيات أخرى تساعد إغناسيو في مهمته لتقوية رموز الممانعة، وفتح باب الأمل أمام المستضعفين. إن فقدان البصر دليل على فقدان الرؤية الواضحة، وقد فقد بويرو في كثير من اللحظات رؤية متبصرة للخروج من المأزق.

كل هذه الانتقادات لا تنقص من قيمة العمل الكبير لمسرحي عالمي غير كل شيء في المسرح الإسباني، ولولا ظروف القمع والمتابعات والرقابة لاستطاع بويرو أن يغير واقعه المر بنظرته الفلسفية للتغيير وقدرته الهائلة على تشخيص الواقع فوق خشبة المسرح. كان بويرو متفائلا ويقظا، واستطاع بذكائه توعية مجتمع رأى نور الحرية بعد المعاناة.

هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية المدرسة مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء وزارة الإعلام في ما بعد ، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا

حتى عام ١٩٩٨، قبلها وفي سنة ١٩٩٥ تحديداً انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية ، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة

**يمكنكم الاشتراك والحصول على نسختكم الورقية من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من خلال الدخول إلى موقعنا الإلكتروني:**
**https://www.nccal.gov.kw/#CouncilPublications**

| البيان | عالم المعرفة | | الثقافة العالمية | | عالم الفكر | | إبداعات عالمية | | جريدة الفنون | | المسرح العالمي | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | د.ك | دولار | د.ك | دولار | د.ك | دولار | د.ك | دولار | د.ك | دولار | د.ك | دولار |
| مؤسسة داخل الكويت | 25 | | 12 | | 12 | | 20 | | 18 | | 20 | |
| أفراد داخل الكويت | 15 | | 6 | | 6 | | 10 | | 8 | | 10 | |
| مؤسسات دول الخليج العربي | 30 | | 16 | | 16 | | 24 | | | 36 | 24 | |
| أفراد دول الخليج العربي | 17 | | 8 | | 8 | | 12 | | | 24 | 12 | |
| مؤسسات خارج الوطن العربي | | 100 | | 50 | | 40 | | 100 | | 48 | | 100 |
| أفراد خارج الوطن العربي | | 50 | | 25 | | 20 | | 50 | | 36 | | 50 |
| مؤسسات في الوطن العربي | | 50 | | 30 | | 20 | | 50 | | 36 | | 50 |
| أفراد في الوطن العربي | | 25 | | 15 | | 10 | | 25 | | 24 | | 25 |

## قسيمة اشتراك في إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

| | |
|---|---|
| الإسم: | |
| العنوان: | |
| المدينة: | الرمز البريدي: |
| البلد: | |
| رقم الهاتف: | |
| البريد الإلكتروني: | |
| اسم المطبوعة: | مدة الاشتراك: |
| المبلغ المرسل: | نقدا / شيك رقم: |
| التوقيع: | التاريخ: / / 20م |

**المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - إدارة النشر والتوزيع - مراقبة التوزيع**
**ص.ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي 13100**
**دولة الكويت**

## أسماء وأرقام وكلاء التوزيع
## أولاً: التوزيع المحلي - دولة الكويت

| م | الدولة | وكيل التوزيع | رقم الهاتف | رقم الفاكس | الإيميل |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | الكويت | المجموعة الإعلامية العالمية | 00965 24826820 /1/2 | 00965 /24826823 | im_grp50@yahoo.com |
| | | ثانياً: التوزيع الخارجي | | | |
| 2 | السعودية | الشركة السعودية للتوزيع | 00966 /14419933 – 14418972 | 00966 /12121766 – 1212774 | bander.shareef@saudidistribution.com<br>babiker.khalil@saudidistribution.com |
| 3 | البحرين | مؤسسة الأيام للنشر | 00973 /17617733 – 36616168 | 00973 /17617744 | cir@alayam.com<br>rudainaa.ahmed@alayam.com |
| 4 | الإمارات | شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع | 00971 43916501 /2/3 | 00971 /43918354 – 43918019 | eppdc@emirates.net.ae<br>info@eppdco.com<br>essam.ali@eppdco.com |
| 5 | سلطنة عُمان | مؤسسة العطاء للتوزيع | 00968 /24492936 – 24496748 – 24491399 | 00968 /24493200 | alattadist@yahoo.com |
| 6 | قطر | شركة دار الثقافة | 00974 /44621942 – 44622182 | 00974 /44621800 | thaqafadist@qatar.net.qa |
| 7 | مصر | مؤسسة أخبار اليوم | 00202 25782700/1/2/3/4/5<br>00202 25806400 | 00202 /25782540 | ahmed_isaac2008@hotmail.com |
| 8 | لبنان | مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع | 00961 1666314 /15 | 00961 /1653259<br>00961 /1653260 | topspeed1@hotmail.com |
| 9 | تونس | الشركة التونسية | 00216 /71322499 | 00216 /71323004 | sotupress@sotup.com.nt |
| 10 | المغرب | الشركة العربية الأفريقية | 00212 /522249200 | 00212 /522249214 | s.wardi@sapress.ma |
| 11 | الأردن | وكالة التوزيع الأردنية | 00962 /6535885 – 797204095 | 00962 /65337733 | alshafiei.ankousha@aramex.com<br>basem.abuhamed@aramex.com |
| 12 | فلسطين | شركة رام الله للتوزيع والنشر | 00970 /22980800 | 00970 /22964133 | wael.kasses@rdp.ps |
| 13 | اليمن | القائد للنشر والتوزيع | 00967 /1240883 | 00967 /1240883 | alkaidpd@yahoo.com |
| 14 | السودان | دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع | 002491 /83242702 | 002491 /83242703 | daralryan_cup22@hotmail.com<br>daralryan_12@hotmail.com |

المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب
من
المسرح العالمي

من

المسرح العالمي

في هذا العدد

# الظلام الحارق

تحكي مسرحية «الظلام الحارق» عن شباب عميان يعتقدون أنهم يعيشون حياة سعيدة وعادية، فهم يتنقلون داخل المركز التربوي الذي تجري فيه أحداث هذه المسرحية بشكل مريح ودونما حاجة إلى عصا، ويدرسون ويمرحون ويستمتعون بأوقاتهم دونما إشكال. المركز التربوي يديره السيد بابلو، إنه أعمى أيضا. وذات يوم يلتحق بالمركز الطالب إغناسيو، أعمى كذلك، محمولا بهمه وشوقه الحارق إلى الإبصار وإلى النور، تمضي الأيام فيبدأ الطلبة العميان يتأثرون بفكر إغناسيو الوافد الجديد، المتمثل في وجوب الاعتقاد بأنهم عميان وليسوا مكفوفين كما يحبون وصف أنفسهم تلطيفا لكلمة عميان، بكونهم تعساء وليسوا سعداء كما يحاولون إيهام أنفسهم، وهذا الأمر لم يعجب البتة السيد بابلو، كما لم يعجب أيضا كارلوس، الطالب النجيب والمحبوب لدى السيد المدير، والذي ازداد كرهه لإغناسيو عندما أحس بأن الطلبة أصبحوا يميلون إلى أفكار إغناسيو، وأن محبوبته خوانا أيضا أصبحت في عداد الموالين له، بل بدأت تتخلى عن حب كارلوس وتميل إلى إغناسيو. هنا تبدأ مرحلة الصراع بين وجهتي نظر، قد تحمل كل منهما جانبا من الحقيقة، لكنهما متضادتان ومتصادمتان، الأولى يجسدها كارلوس، الذي يريد الحفاظ على هدوء المركز وإدامة جو الهناء والسعادة على الطلبة، والأخرى يجسدها إغناسيو، الناقد للوضع الرتيب الذي يعيشونه بالمركز، والحالم بوضع أفضل من الزيف والعمى وعدم قبول الواقع والحقيقة الذي يعانيه الآخرون، الصراع يحتدم بين الموقفين وتتمخض عنه في الأخير جريمة قتل. فهل بقتل الضد ينتهي الصراع؟ أم أن بالقتل يزول جسد المقتول وتبقى روحه وفكره؟

إصدارات المجلس متوافرة إلكترونيا على موقعنا:
WWW.nccal.gov.Kw/publications

ISBN - 978-99906-0-637-9